عصفور و حكايات من التحرير عصفور و حكايات من التحرير عصفور و حكايات من التحرير

وزارة الثقافة

الهيئة العامة لقصور الثقافة

نادي القصة

عصفور

و حكايات من التحرير

قصص

ملاك معوض سرور

عصفور وحكايات من التحرير

قصص

ملاك معوض



وزارة الثقافة



الهيئة العامة لقصور الثقافة

الكتاب الفضى

كتاب يصدر عن نادى القصة

بالتعاون مع الهيئة العامة لقصور الثقافة

- عصفور وحكايات من التحرير
- ملاك معوض
- تصميم الغلاف: أحمد الجناينى
- مراجعة لغوية: نسيم عبد المنعم
- الإخراج الداخلى: وحدة التجهيزات

هذه الطبعة 2014م

الهيئة العامة لقصور الثقافة

- رقم الإيداع: ٢٥٠٢٨/ ٢٠١٤
- الترقيم الدولى: 978-977-718-999-6
- الطباعة والتنفيذ:

شركة الأمل للطباعة والنشر

ت: 23904096

عصفور وحكايات من التحرير

مفتتح

يظل شوقى متقدًا كى نتواصل ونلتقى فى عالم رحب، تتجلى فيه كل المعانى الجميلة والمشرقة والنبيلة التى انبثقت من ميدان التحرير

(عيش - حرية – عدالة اجتماعية)

ملاك معوض سرور

أختى سنية والقطط

تحلقنا حول التليفزيون، جلست مسترخيا وابنتاى تجلسان فى هدوء بالقرب منى، وضعت زوجتى أمامنا أكياس اللب والسودانى وبعض حبات الفستق، وزجاجة مياه غازية لتكتمل طقوس الاحتفال بالمناسبة، فأختى سنية ستظهر فى برنامج تليفزيونى، كانت زوجتى تروح وتجىء وفى كل مرة تحمل شيئا لزوم الجلسة العائلية، استرعى انتباهى سلوكها المتوتر، حاولت مناوشتها فقلت بصوت عال: ميعاد البرنامج قرب ..... تعالى اقعدى ...... ردت فى صوت تشوبه نغمة تهكمية: يعنى الهانم هتتكلم فى الذرة، فى الأول والآخر دا كلام عن القطط ... آثرت الصمت. اتخذت مكانها بجوارى، وابنتاى ضحكاتهما تجلجل حين أعلنت المذيعة عن بدء البرنامج .... تعالى صوت الكبرى فى فرحة غامرة ... طنط سنية هتبقى مشهورة، ارتفع صوت الصغيرة يا رب ..... عقبال مامى ..... غمرتنى سعادة وراحة تسرى فى أعماقى، لأن أختى سنية خرجت عن عزلتها أخيرا والتى فرضتها على نفسها سنوات طويلة بعد وفاة زوجها، بدت سنية جميلة متأنقة، ترتدى ثوبا أسود من الدانتيل، تزين صدرها ببروش ذهبى، تعقص إيشاربا غامق اللون حول رقبتها، شعرها منسدل

على كتفيها، مصفف بعناية، ارتفع صوت زوجتى معقبة: سنية عملت نيولوك، التزمت الصمت ... ولم أعلق

أضافت: دى صبغت شعرها..... تصنعت انهماكى فى المتابعة، ساد صمت والعيون معلقة على شاشة التليفزيون، رحبت المذيعة بالضيفة فى كلمات رقيقة، قدمت سنية كرئيسة لجمعية حماية القطط من سوء المعاملة، كانت سنية تجيب عن الأسئلة بهدوء، تضغط على مخارج حروفها دون النظر إلى الكاميرا، كأنها قد خاضت هذه التجربة مرات ومرات.

سألتها المذيعة عن بداية التفكير فى تكوين الجمعية، قالت سنية بأعصاب هادئة: كنت فى زيارة أسرة أحد الأقرباء، وكنت أجلس مع ربة المنزل نتسامر، دخل علينا زوجها ومعه قطتان صغيرتان فى سلة، وما إن راتهما الزوجة حتى هاجت غاضبة وسألته فى عصبية: إيه القطط دى ؟

- أخبرها أن صديقه عنده قطة سيامى ولدت أربع قطط، فأعطاه قطتين لابنتيهما، ارتفع صوت صديقتى معلنة رفضها استقبالهما، احتدم الشجار بينهما فى تلك اللحظات بدت لى صديقتى كوحش يخلو من المشاعر .... ما إن وصلت سنية فى السرد لهذا الحد حتى هبت زوجتى واقفة، وقالت فى صوت أشبه بالصراخ: شوف الست أختك قليلة الأدب... بتقول عنى إيه ... أنا متوحشة ..... لم أعلق والتزمت الصمت، انكمشت البنتان فى مقعديهما، كان ما تحكية

سنية هو بداية اهتمامها بالقطط، انتزعت القطتين منى وانطلقت إلى بيتها، وكان بدايتها فى رعاية القطط وتكوين الجمعية، تعالى صياح زوجتى .... وقفت قبالتى وهى تلوح بعصبية، مرددة فى توعد أنها سوف تطين عيشتها .... لما البرنامج ينتهى ..... هززت رأسى دون تعقيب حتى لا أزيد الأمر اشتعالا، بينما الابنتان تتابعان فى اهتمام وشغف حديث العمة، كلمات الثناء تنهال على سنية، وتتوالى المكالمات التليفونية من جمهور مشجع ومؤازر، وما إن انتهى البرنامج حتى أمسكت زوجتى بهاتفها المحمول لمهاتفة سنية، وبعد محاولات متكررة، تيقنت أنها صارت على اتصال مع الطرف الآخر... نهضت مسرعا متجها نحو البارندة، لأننى تأكدت أن المواجهة ستبدأ ومعركة كلامية حامية سوف تنشب، لذا قررت المغادرة إلى مكان أبتعد فيه عن ميدان المعركة ... استندت بذراعى على حافة البارندة ناظرا إلى الشارع متشاغلا عما يدور فى الداخل ... صوتها العالى يتناهى إلى مسامعى، وكلمات عنيفة تنطلق متتابعة كقذائف، اشتد الصياح والاحتجاج.... اصابتنى الدهشة حين لاحظت هدوء صوت زوجتى فجأة وتغيير نبراته، صار صوتها منغما هادئا .....ضَحكت ... توالت ضحكاتها، أصابنى الذهول للانتقال من نقيض إلى نقيض، اتجهت إلى الداخل متسللا فى بطء ..... كانت الضحكات مازالت ترن، دققت فى ملامح زوجتى ، كانت تغزوها انفراجة تشى بسعادة، وضعت المحمول على النضد بعد انتهاء المكالمة، أخذت نفسا عميقا، مازالت الابتسامة عالقة

بشفتيها، قلت والدهشة وحب الاستطلاع يتملكانني: خير..إيه اللى حصل ....؟ قالت وابتسامتها تزداد اتساعا: خير.... سنية أثبتت فعلا أنها ست أميرة.

- عقبت بسرعة: إيه الرضا ده .....إيه اللّى حصل...؟

- قالت فى نبرات واضحة: اتفقنا معا على أن أكون وكيلة للجمعية.......

- انطلقت منى ضحكة طويلة رغما عنى معقبا..... والله ؟ وإيه كمان..... أضافت: وقد وعدتنى بأننى سأكون المتحدثة الرسمية للجمعية فى أى مقابلة تليفزيونية أخرى قادمة، تركتنى غارقا فى دهشتى، سارت فى خطوات بطيئة متجهة إلى المرآة المعلقة على الحائط، عيناى تتبعانها ، توقفت أمامها ، اقتربت أكثر، مسدت شعرها برفق، مسحت براحتيها على خديها، أطالت النظر إلى ملامحها، اقتربت ابنتى من أمها وهى تمسك بمعصمها فى حنان قائلة: ما تعملى نيولوك يا مامى .....نظرت إليها مبتسمة، هزت رأسها فى تدلل قائلة فى صوت هامس : إيه المانع؟ .... أفكر........، ارتفعت برأسى لأعلى فى ضحكة سريعا ما تحولت إلى قهقهات صاخبة، حتى اغرورقت عيناى بالدموع وكدت أستلقى على قفاى من شدة الضحك.

حكـايتى مـع جـدو

اعتدلت فى جلستى، تعلقت عيناى به، يخطو بخطوات بطيئة، يسير فى اتجاه البراجولا التى كنت أجلس فيها بالنادى، ومعى سلمى وعليا ابنتاى تلعبان فى مرح حولى، تيقنت بعد التباس، أنه الأستاذ مدحت مدرس الفلسفة بالمدرسة الثانوية، شعرت بفرح غامر يملأ القلب، مازال أستاذى يحتفظ برشاقته، أناقته بادية كما كانت تبهرنا فى الماضى، رابطة العنق معقودة بإتقان تحت ياقة بيضاء ناصعة، المنديل الملون فى جيب السترة العلوى موضوع بإتقان فى شكل هرمى متدرج، الحذاء لامع ، اقترب كثيرا، صارت ملامحه أكثر وضوحا، أزعجنى توكؤه على عصا أبنوسية أنيقة، تيقنت أن الزمن طبع آثاره على أستاذى، الذى تعلقت به، ثمة تغضن فى أماكن متفرقة بالوجه، غزا الشعر الأبيض الرأس، بدا لى كهالة نورانية تجلل الوجه فيشع ألقا، نهضت من مكانى متأهبة للقائه، وأنا أخطو نحوه، زاد وجيب قلبى خفقانا، تداعت الذكريات متلاحقة، يقف أمامنا فى (ثالثة أول أدبى) يشرح فى إسهاب كأنه شدو فلسفة أفلاطون، ومدينته الفاضلة، يجذبنا إلى عوالم مثالية حين كان يحدثنا عن الحب الأفلاطونى، تهيم روحى محلقة فى فضاء

بجناحى يمامة، كان كلامه على مسامعى كعزف موسيقى ماهر يعزف لحنا، فيغزو الأذن ليملأ القلوب بالفرح، كل زميلاتى من قريناتى، كانت تحمل صورة لفنان، ترى فيه فتى أحلامها، كان أستاذى هو فتاى أحمل صورته فى قلبى، أخبئه بين جوانحى بمشاعر عذرية، كان ماثلا فى خيالى الأب.... الأخ ... والحبيب... مشاعر تخلق هائمة فى عوالم مثالية، لحظات سعادتى كنت أقتنصها حين تطفو صورته فى مخيلتى، فأشعر بالسكينة وسعادة غامرة تكتنفنى.

حين اقترب أسرعت فى اتجاهه، طفلتاى تتعلقان بأهداب ثوبى، اعترضت طريقه، وقفت قبالته، نظر بعينين مدهوشتين، كان الوجه يعلوه ذبول طفيف، لكن لم يفقد رونقه، قامته تميل إلى الانحناء قليلا.

ما بداخلى من مشاعر رفضت التغيرات التى طرأت على أستاذى، رأيته بصورته الشابة الجميلة التى تعلقت بها، مددت يدى لأصافحه، تلاقى الكفان، شعرت بحميمية دافقة تسرى داخلى، رغبة عارمة تجتاح نفسى لأقبل يده، عدلت عن فكرتى بكلمات رقيقة تنطق بالجميل والعرفان، طافت على وجهه ابتسامة جميلة، هز رأسه بإيماءات متكررة مرددا كلمات الشكر والامتنان، لم أدرك سر تعلقى الحقيقى بأستاذى إلا فى منتصف المرحلة الجامعية، حين التقينا ونبتت بذور الحب فى قلبى وكان راعيها زميلى فى الكلية، والذى هو زوجى الآن، أدركت أن تعلقى بأستاذى، كان تعلق فتاة يتيمة، وجدت

فى معلمها صورة الأب الحنون الذى افتقدته مبكرا.

قلت فى صوت هامس: مش فاكرنى يا أستاذ ... أنا سارة تلميذتك فى الثانوى...... تفرس ملامحى فى نظرة عميقة، يستحث بها ذاكرته ..... مرت لحظات صمت قطعها صوته الحنون..... أهلا يا بنتى ... اعذرينى ولادى وبناتى كتير.....والذاكرة لم تعد تسعفنى

أجبت فى دعاء صادق نابع من القلب ... ربنا يخليك لينا يا أستاذ ......ويطول عمرك.

هز رأسه مكررا شكره وامتنانه قائلا: إن الابنة البارة تتذكر دائما أستاذها بالخير ... اتجه ببصره نحو ابنتىَّ، انحنى تجاههما، ربت على كتفيهما فى حنان قائلا: ابنتاك، قلت وقلبى يكاد يغشى عليه فرحا .... فلذات كبدى، اقترب منهما أكثر ليطبع على جبين كل منهما قبلة حانية، هم بالانصراف، مد يده ليصافحنى، قبضت على كتفيه بشدة أحاول أن أستمسك بلحظات هانئة وسعيدة على وشك الإفلات منه، أسرعت قائلة موجهة حديثى لبنتىَّ سلموا على جدو يا بنات... تركنا أستاذى ... سار فى طريقه بخطواته الوئيدة ..... عدت إلى مكانى وعيناى تتبعانه ... ومازالت الذكريات تترى فتشع دفئا فى أعماقى، واستسلمت لأشعة الشمس التى احتضنتها بفرح، وحولى بنتاى تمرحان فى انتظار أبيهما لتقصا له حكايتى مع جدو.

اشتياق

الفراش ينقلب جمرا، يؤجج داخلى ذكريات ملتهبة، قلبى يدق ذبذبات الاشتياق، هفت نفسى لرؤيتها، تمنيت أن ارتوى من نبع حنان أفتقده، تباعدنا سنوات، افتقدت فيها رؤية نجوم السماء المتلألئة، كانت تنعش خيالنا حين النظر إليها، فى ليالى الصيف المقمرة، تتتابع سحابات العشق تركض فى فضائها، تثير خيالنا وتفجر الأحلام، كفانا يتلامسان فى لغة بالغة العذوبة، تدغدغ الأعماق بأحاسيس ملتهبة، اشتد بى الشوق، غلبتنى لوعة الفراق.... أتقلب فى فراشى قلقا، نهضت منه فزعا، فكرة تلح فى ذهنى بصورة قهرية، اتجهت نحو الهاتف، استدعيت رقمها من ذاكرتى المجهدة، أصبعى ينقر الرقم بتوتر، الجرس يدق، انتظرتها أن ترد، طال انتظارى، أخذت أعيد المحاولة مرات ومرات، قفز قلبى فرحا كعصفور انطلق منتشيا بفضاء رحب، حين سمعت صوتها على الطرف الآخر، رن فى أذنى بصدى جميل منغم كأنه ينبعث من فضاء سمائى، رغم أنه لم يتضح لى ما قالته، تمثلت فى مخيلتى بملامحها الجميلة، زاد اشتياقى ولهفى، قلت بإحساس غامر بالمودة... وحشتينى ...... لم أسمع إجابة، ساد صمت كئيب، رددت دون كلل مرات ومرات

وحشتينى، أضفت فى صوت حزين ..... سنوات لم تهاتفينى....
ردت فى صوت رخيم شجى النبرات ملون بحزن عميق.... دائما
تنسى أن عالمى بعيد جدا، ولهذا تتعذر المهاتفة، صوتها يرن فى
أذنى كعزف قيثارة عادت تشدو لتثير أشجانا كامنة داخلى، حاولت
أن أستنطقها مرة أخرى، لتبث فى نفسى طمأنينة أفتقدها،
لكنى سمعت وشيشا يطن فى أذنى، ينبعث من سماعة الهاتف،
طال أمد الوشيش، زادت قبضة يدى على سماعة التليفون، ودموع
سخينة تنهمر، قررت أن أستريح من عناء الترقب والانتظار، وأعيد
المحاولة من جديد حين تأذن الظروف.

انتظار

تنتظر على رصيف الكورنيش، تنظر إلى ساعتها فى قلق، تتابع مقدار الزمن المفقود بعد ميعاد اللقاء، تسلل الضيق إلى صدرها، تنفث زفرة طويلة، تعبت من الوقوف، مشت خطوات، اقتربت من عامود نور، استرعت انتباهها لوحة كبيرة مضاءة، مسحت نظراتها اللوحة بسرعة..... تمتعوا بشهر عسل فى أجمل منتجع .... سرحت بأفكارها، حلقت فى أحلامها، سحبتها إلى عوالم خيالية، تنبهت على صوت خافت يردد كلمات منغمة... يصفها بالقمر والضياء والشمس.... والورد .... زادت من انتباهها... كلماته كشدو جميل، التفتت ناحيته ... شاب وسيم مهندم الثياب ... عاد يمطرها بكلمات أكثر عذوبة، شعرت بارتباك ... غضت بصرها خجلا، ابتعدت قليلا، اقترب منها، نظرت إلى ساعتها فى ضيق، عقارب الساعة تفلت بنصف ساعة بعد موعد لقائهما... شعرت باختناق، تداعت بعض الأفكار فى ذهنها، وصلت إلى درجة من القناعة أنه قد نكص عن بعض وعوده، وكثيرا ما يمعن فى التأخير عن الميعاد، شعرت بإحباط، سارت على رصيف الكورنيش بخطوات بطيئة متثاقلة، لحقها ... توالت كلماته الرقيقة... كان يختارها

بعناية ..... كهمس شاعر جوال يتغنى بأشعاره، كلماته نافذة تخترق أعماقها كومض خاطف، أسرع بخطواته، مشى إلى جوارها، ومازال يعزف بكلماته، ترن في داخلها، شعرت بسكينة واستسلام لكلماته التي تتسلل لأعماقها، اقترب أكثر .. ابتسمت، زادت ابتساماتها اتساعا، والتماعة ألقة تغزو عينيها اللوزيتين وهي تلتفت إليه.

إعلان

نظر إليها بعينين مدهوشتين لجمالها المفرط، يفصل بينهما مكتب صغير، أمسك بقلمه، شرع ببسط أوراقه، لامس سن القلم بداية السطر، قال فى صوت هادئ تعمد فيه تنغيم نبراته، تحت أمرك يا هانم، المطلوب.... إعلان عن بيع ... شراء .... تهنئة .... عزاء، ردت فى صوت هامس رقيق: ممكن ورقة وقلم.

امتدت يده بما طلبت، بدأت تكتب بتأن وخط جميل، ما إن انتهت حتى دفعت بالورقة إليه ....أمسك بالورقة، أطال النظر إلى عينيها اللوزيتين، بادلته النظرات، تولدت لغة غير منطوقة، التمعت بها العيون، شرع فى قراءة الورقة، تجهم وجهه...انقبضت ملامحه، أعاد قراءتها مرة أخرى، شقة فاخرة بمنطقة راقية والعفش جديد لم يستخدم إلا أسبوع واحد قبل أن يقضى المرحوم نحبه.

إقنـــاع

جلست بين حشد من الرجال، احتدم النقاش إلى درجة السخونة، كل واحد يحاول أن يثبت أنه الأقدر والأعمق والأكثر ثقافة، شعرت بالضيق، تيقنت أنها لن تستطيع أن تظفر بأى مساحة لتدلى برأيها، قفزت فى رأسها فكرة، أشبه بومضة خاطفة، استحسنتها بدأت على الفور تنفيذها، وضعت ساقا على الآخرى، انحسر الثوب الضيق ليكشف ما فوق الركبة، اتجهت العيون لها تبحلق فى شغف، أشعلت سيجارة، نفثت فى عمق، بدأت تنطلق فى الحديث، الجميع يتابع فى صمت، ارتفعت بيدها لتمسح على شعرها فى دلال، وبين الحين والآخر بطير من نسمة عابرة فتحاول أن تكبح جماحه، لتنثره مرة أخرى على كتفيها ليسكن، لم ينقطع حديثها مستخدمة براعتها فى إعطاء الأدلة والبراهين، حاولت أن تزيد من إقناعها للآخرين، فصار جسدها أكثر طلاقة من لسانها، باهتزازاته المثيرة عندما تنطلق ضحكاتها، واهتزاز ساقها يزداد مساحة المكشوف، حتى منتصف الفخذ، فتستنفر الحواس وتشحذ الخيال ويعم الصمت، وتزداد المتابعة وعيونهم معلقة عليها فى نظرات متلهفة شبقة، وأخيرا عندما انتهى النقاش، تأكد الجميع أنها كانت أكثر إقناعا، وأبرع حجة من جميع الحاضرين.

الذبيحة

ملقاة على الفراش تهذى، حرارة الجسم مرتفعة، العرق يتصبب من جسدها المنهك، ارتعاشة تغزوها، الأسنان تصطك فى عنف، العقل مجهد تجوب فيه كوابيس مفزعة، تتداخل الصور، وتزدحم المشاهد، الوجه الكئيب تنطق قسماته بغلظة، يقترب منها، شعر أشيب وأسنان متآكلة، يزداد اقترابا.... ترتعب...... يطوقها بذراعيه، يعتصرها.. يخلع سروالها، يعبث، يلتصق بها، يكرر محاولات فاشلة، ينهزم مرات ومرات، تشعر بإنهاك، أنفاسها تتلاحق، ممددة مستسلمة كشاة أعدت للذبح، يتصبب عرقا، يسقط بجسمه المترهل بجوارها، يسكن فى صمت مقهور، فجأة نهض بعصبية كمن مسه شيطان، فى حركة خاطفة تمتد يداه، ليباعد ما بين فخذيها، يخترق أصبعه غشاء رقيقًا، تند عنها صرخة مدوية، ينقلها إلى عالم يدفعها إليه غصبا، تتوالى الصرخات، قطرات من الدم تنهمر ما بين الفخذين، بقع حمراء تتناثر فى غير انتظام على الفراش الوردى، تزداد صرخاتها دويا، الوجه الكئيب يتقد، ينهض فى عجلة، يرتدى ملابسه، يفتح باب الحجرة، يتسلل للخارج غيمات ضبابية تحجب الرؤية تغيب عن الوعى.... الحرارة ترتفع، الهذيان يفجر صورًا متلاحقة لما حدث فى مشاهد خاطفة، الزغاريد تدوى فى أذنيها، بعض نساء القرية يتحلقن

حولها، البيت مُضَاء ومُزَيَّن بمصابيح كهربية ملونة، هرج ومرج، تنظر حولها في دهشة، تقع على أذنيها كلمة تتكرر..... مبروك .... مبروك ارتسمت على وجهها ابتسامة عندما قفزت إلى ذهنها صورة الجاموسة التي ابتاعها أبوها من سوق الإثنين تبرز في مخيلتها حين كانت تقفز من الفرح حول الجاموسة والسرور يملأها، وأبوها يمسك بمقودها ليدخلها في الزريبة، تتباطأ، تتصلب، تمتنع، تقدم رِجلا وتؤخر أخرى، ينطلق صوت نعيرها، زميلتاها في المدرسة الإعدادية سمية وعلية، تتحلقان حول الجاموسة تخايلاتها، يمتلئ صدرها بسعادة غامرة، تطوف بذاكرتها صورة الجاموسة وهي ترتفع بمؤخرتها قافزة، تحاول ركل من يحيطون بها، تتعالى الضحكات، وتكثر التعليقات، يعلو صوت قائلا: الجاموسة عشار يا حاج، شهور والخير يبقى خيرين، يبرز وجه أبيها بقسمات منقبضة جامدة، غمرها فرح لأنها تعلم أن العشار يعني ولادة جديدة، حلمت بالحليب واللبن الرايب والقشدة، سيوقد الفرن لعمل المشلتت، لن تكون أقل من زميلاتها اللاتي يمتلك آباؤهن جاموسة أو أكثر، زادت الارتعاشة، وتداعت صورة قاتمة حين وجدت بعض النسوة يتحلقن حولها، وامتدت يد تمسك بذراعيها بشدة، وامتدت يد أخرى لتمسك بها، الدهشة تعقد لسانها، دفعتها الأيدي داخل الحجرة، نظرت إلى أمها في لهفة تستنطق فيها حنانها..... قالت الأم في صوت خفيض: امشي مع خالاتك متخافيش، كلمات لم تمنحها الطمأنينة، زاد رعبها حين تذكرت نفس المشهد الذي حدث في طفولتها، الأيدي تدفعها لتمتد يد غليظة خشنة بموسى حاد الشفرة ليقطع جزءا من بين فخذيها، ونافورة من الدم تنهمر، يصيبها الرعب،

تتداخل أصوات فى العقل المجهد ليبرز صورة حائرة أخرى حين وجهت إحدى النسوة حديثها لزينب مبروك يا زينب عريسك زى الفل...... صرير الباب حين غلق يزيد من رعبها، تمتد أيدى لتجردها من ملابسها، استغاثت، بكت، توسلت ربتت أمها على كتفها قائلة فى صوت هامس متخافيش يا زينب، وامتدت يد بقطعة من مادة لدنة تلتصق بالجسم لتنزع بعض الشعيرات الخشنة العالقة، تتعالى صرخاتها.... تتعالى الزغاريد ... تختلط الأصوات...... أدخلنها فى طست، وقفت منتصبة ترتعد، سكبن عليها ماء معطرًا، أفرغن زجاجة من ماء ورد على جسمها، جففنها ببشكير جديد، مسدن شعرها، لطخن الوجه الجميل ببعض المساحيق الرخيصة، ألبسنها فستانا أبيض، صورة أخرى كئيبة تقفز إلى مخيلتها حين فتح باب الحجرة، ليدخل رجل عجوز يرتدى لباسا أبيض ويضع على رأسه شالا مزركشا ... انتفض قلبها، نفس الرجل الذى رأته البارحة، وهى تقدم الشاى له تحت إصرار أبيها .... ويعود ويكرر نفس عبارته التى سمعتها بالأمس زين...... والله زين .. جمر أربع تاشر ...... نفس اللهجة الغريبة ونفس العبارة التى سمعتها أمس، شعرت بتقزز .... انسحب من الحجرة وسط زغاريد ترن فى أذنيها بطنين خانق..... أحست بأن الثوب يضيق، يشعرها بالاختناق، جلست زينب مذهولة والطبول تدق ..... عادت صورة الجاموسة الجامحة تتمثل فى ذهنها..... أيقنت أن الجنيهات التى بسطها الرجل فى يد أبيها، كانت ثمنا ليبتاع الجاموسة .... نظرات العجوز تطاردها تشعر أن حدقتيه كجب مظلم يكاد يبتلعها، الطبول مازالت تدق والمزمار البلدى مازال يعلو، انتصف الليل.. الجلبة

تخف حدتها .... شعرت بإجهاد، خايلها النوم داعب أجفانها، انكفأت الرأس للأمام، انقلبت ارتعاشتها إلى انتفاضات عنيفة وتعود الصور تتزاحم تطبق على أنفاسها اللاهثة، يقفز مشهد يزيد من انتفاضها، حين امتدت يد أبيها لتمسك بيدها، تنبهت فى انتفاضة كمحمومة ... تسحبها اليد، والأم تسير بجانبها، ويدها تطوق خصرها، وصوتها يعلو فى انكسار مع السلامة يا زينب ربنا معاك يا بنتى

بكت زينب، علا نحيبها، سارت منكمشة كهرة صغيرة تقاذفتها أيدى لتعبث بها، التفتت إلىّ أمها قائلة فى صوت مشروخ حزين،... أنا فى عرضك يا أمي...... يد أبيها تزيد من قبضتها على رسغها فى توتر تنساق غصبا ... ينتظر الشيخ فى باحة البيت، وابتسامة واسعة ترتسم على شفتيه الغليظتين، يضع يده فى جيبه، يخرج رزمة من الأوراق المالية يدفع بها للأب، يتناولها فى انكسار، وتعلو وجهه تقطيبة ظاهرة ..... يقترب منها الشيخ يقبض بيده على ذراعيها، تسير فى استسلام قبل أن تخطو العتبة نحو الخارج، سمعت نعير الجاموسة يعلو، نظرت خلفها، تحاول أن تفلت من مقودها ومؤخرتها ترتفع فى الهواء لتركل خيالا تبدى لها وهما، ترقرقت فى عينيها الدموع ...... سالت بغزارة، وفى انكسار سارت فى خطوات متثاقلة نحو العربة الواقفة أمام البيت، وانطلقت بها حيث لا تعرف.... وتعود الصور متداخلة فى عقلها المنهك بكوابيس مفزعة ومازالت قطرات الدم تنزف بين فخذيها وهذيانها يتزايد بانتفاضات متلاحقة....

الضحية

أشار إليه الأب أن يجلس، جلس قبالته صامتا مشدودا لما سيقوله، داخله يمور بانفعالات متصارعة، انقباض ملامحه تشى بالقلق المسيطر على كيانه، تربع الأب فى مقعده، انثنى بجذعه قليلا، يده تعبث بحبات المسبحة، رفع رأسه، ركز نظراته على وجه الابن، تململ الشاب فى جلسته من شدة التوتر، أرهف السمع، كانت الأم تجلس بعيدا، موحية أنها متشاغلة عنهما، أصابعها تتحرك بمهارة بين أبرة (الكنفا) والخيط المتصاعد فى اتساق بمنظر طبيعى جميل فى طريقة إلى الاكتمال، أشجار، نهر، سماء صافية زرقاء، حمامات تنطلق عبر فضاء، مازال الأب صامتا يطأطئ رأسه ثم يرفعها، ويده مازالت تعبث فى حبات المسبحة بعصبية، تنحنح الأب، زفر الابن فى صوت مسموع، بكرة الخيط تفلت فتتدحرج على الأرض وتظل تتحرك فى تتابع رتيب تبعا لحركات أصابعها، أذناها تصغيان فى لهفة لما سيقوله الأب، ارتفع صوت الأب فى نبرة رصينة خشنة: استمع لى جيدا، أنت تعلم القضية العالقة بيننا وبينهم، علينا أن نختار فى الأيام القادمة إما أن نقوم بدور الضحية أو نقوم بدور الجلاد، الابن ينصت باهتمام، ونظراته حائرة مضطربة لا تثبت فى

اتجاه، ثمة حبات من العرق تنز من جبينه، ساد الصمت بينهما يقطعه صوت حبات المسبحة المتتابعة فى حركة رتيبة، كلمات الأب تدق بعنف رأسه المجهدة، قطع السكون صوت الأب مرة أخرى فى نبرة عالية: أعلم أن الاختيار صعب، ولكن علينا أن نختار بروية .... مد يده ليربت على كتفه بخبطات لا تشى بأى حنان، وكأنه يريد أن يستنفره ليحدد اختياره الذى رسمه له.

تعالى صوته مرة أخرى فى حدة قائلا: لقد انتظرت سنين طويلة، حتى صرت رجلا يشار إليه بالبنان، الآن عليك أن تختار، نظرات الابن انكفأت لأسفل وبدا عليه تفكير عميق، أضاف الأب: إنهم يتربصون بنا، أنت يا ولدى الهدف والمقصد، الأفكار تصطرع فى رأس الابن دون أن ينبس ببنت شفة.... عاد الأب يلح فى صوت خشن: عليك يا ولدى أن تحدد اختيارك ... عاد الصمت مرة أخرى، تركه الأب حينا للتروى وأخذ القرار، تململ الشاب فى جلسته، تلاقت كفاه فى اعتصار واضح، ازدرد لعابه بصعوبة، زاد توتر الأم وهى تتابع الحديث، وقعت إبرة (الكنفا) من بين أصابعها المتهدلة، انحنت لتلتقطها، عاد صوت الأب يجلجل فى خشونة يستعجل الجواب، شعر الأب براحة عندما لمح الابن يتحسس فى طيات ملابسه السلاح الذى يتمنطق به، هز الأب رأسه قائلا فى ثقة: أعلم يا ولدى أن اختيارك هو الأصوب، وارتسمت على وجهه ابتسامة الظفر، تيقن أنه نجح فى ملئه بعواصف الغضب وركام الكراهية، وغل الانتقام نحو الغريم، بغتة قذفت الزوجة (إبرة الكنفا) وكرة الخيط على

النضد المجاور لها، تدحرجت كرة الخيط بعيدًا، توارت مختبئة تحت مقعد فى ركن قصى، الخيط ينفلب واللوحة تتفكك حتى كادت أن تتلاشى، نهضت من مكانها فى عصبية، والرعب يسيطر على كيانها، عيناها تمسحان وجه الابن فى حنان، تحتويه فى حدقتيها، تمنت أن تواريه بجفنيها وتخبئه بُعيدا عن ذلك المجهول الذى ينتظره، التفتت نحو زوجها متغصبة، رمقته بنظرة تمتلئ بالضيق، أشاحت بوجهها بعيدا، وهى تسرع الخطى نحو الخارج، وبطريقة لا إرادية يداها ترتفعان لتتحسس عنقها فى رعب، والهاجس الذى ظل يطاردها من زمن بعيد، عاد يلح فى مخيلتها بعنف مريك متمثلا فى تلك الأصابع الغليظة الخشنة التى تمتد لتطويق عنقها فى إحكام لتحولها إلى ضحية.

المرآة لا تتجمل

وقفت أمام المرآة، اقتربت، أخذت تطيل النظر فى وجهها تدقق فى ملامحها، العيون لونها فيروزى بلون مياه البحر الصافية، الحاجبان مزججان بلون أسود فاحم بينهما مسافة مظللة بلون أزرق خفيف، فيبرز جمال العينين، مست بأصابعها على شفتيها الممتلئين والمخضبتين بلون قرمزى مثير، ارتسمت على وجهها ابتسامة اتسعت لتكشف عن أسنان لولية ناصعة البياض، مسحت نظراتها قامتها المديدة، وفستانها الرائع يلتصق بها، ليبرز تفاصيل جسد مثير، شعرت بسعادة تغمرها عندما تذكرت حفل الليلة، شط خيالها طيرتها كلمات الإطراء والإعجاب فى عالم خيالى، عبارات الغزل الملتهبة ترن فى أذنيها تغمرها بالنشوة وتزيد سعادتها، التصفيق يتعالى من أكف يبدى أصحابها بإعجابهم الفائق عن بداية عرض فلمها الجديد، استدارت أمام المرآة لتتأكد من اتساق «البروفيل» الخلفى للجسم، تسلل خدر إلى جسدها، شعرت بكسل وتراخ يدب فى أوصالها، وانطفأ داخلها الإعجاب بصورتها أمام المرآة، أرادت الراحة وأن تخلد للسكينة بعد ليلة ساخنة، سارت خطوات توقفت خلعت فستانها برفق، اتجهت إلى الحمام، خلعت العدسات اللاصقة، أزالت المساحيق، رفعت عن رأسها الباروكة، قفزت إلى البانيو فتحت

صنبور الماء الساخن، ارتمت فى أحضانه، أغمضت عينيها، غطست فى شبه غفوة حالمة، نهضت، جففت جسمها ببشكير ناعم، استراحت وهى تمسح به كل أجزاء جسمها، دغدغة لذيذة تغزو جسدها، صور متلاحقة تقفز إلى ذهنها من ماض بعيد حين كانت أمها تمسح فى رفق جسدها الصغير، ثم تحتويها بيديها لتدثرها فى ردائها ... أفاقت حين وجدت نفسها تقذف بالباشكير، ثم ارتدت ثوبًا حريريًا احتواها فى نعومة، ليزيد رغبتها لأن تأوى إلى فراشها، اتجهت بخطوات وئيدة نحو حجرة النوم، أضاءت النور، قبل أن تتجه إلى الفراش تذكرت أن تضع خاتمها الماسى على «الشدوفنيرة»، اقتربت منها، خلعته، وضعته برفق . ارتفعت ببصرها نحو المرآة، دققت نظراتها على سطح المرآة، شعرت بضيق، زمت شفتيها، عقدت ما بين حاجبيها، ظهرت ملامحها متجهمة قلقة، التجاعيد تغزو الوجه فى هجوم شرس، سطح البشرة يعلوه شحوب واضح، الملامح تكاد تكون منطمسة بعد زوال المساحيق، الشعرات البيضاء تطل من تحت طبقات الشعر المصبوغ، زالت السكينة من داخلها، أطل قلق مقبض يجتاح مشاعرها، تصاعد فى حدة، تحول إلى إحساس بحزن داهم، سيطر عليها إحساس بالذعر، حين أطلت من المرآة آلاف العيون المحملقة، تحولت نظرات الإعجاب إلى نظرات تمتلئ بالدهشة والإشفاق، ازداد رعبها، جرت من أمام المرآة، نوبة من البكاء تنتابها، صرخت بأنين مكتوم حين استلقت على الفراش، تدثرت بالغطاء لتهرب من تلك العيون التى تحاصرها، وانطلقت فى بكاء بنشيج حاد، يتعالى فى جنبات قصرها دون أن يسمعها أى أحد.

المــــــرآة

وقفت تختال أمام المرآة التى ابتاعها زوجها والمعلقة فى مدخل الشقة، بدأت تمسد شعرها فى مهل، تنثره إلى الخلف ليسكن على كتفيها، وضعت «الآى لينر» بإتقان على جفنيها، مسحت بقلم الروج على شفتيها بلون قرمزى ، حففته بلون أحمر قانٍ، ظللت جفنيها بلون أسود متدرج ينتهى قبل الحاجبين بمسافة بسيطة، ارتسمت ابتسامة سعيدة على شفتيها، استدارت شمالا ويمينا، وهى تطيل النظر لقامتها للتأكد من رشاقتها، وانضباط الفستان الجديد حول جسمها الممشوق كان الزوج يجلس فى استرخاء متابعا لحركاتها ... شعر بضيق يعتريه لطول فترة وقوفها أمام المرآة، فجأة استدارت ناحيته قائلة بصوت يشى بسعادة غامرة: بصراحة هذه المرآة رائعة.... تظهر ملامح الوجه بصدق دون تشويه ، تابعها فى صمت دون أن يطرف له جفن، بنظرات مدهوشة... أضافت: لقد تيقنت اليوم فقط أنى مازلت أحتفظ بجمالى، والذى يفوق جمال بعض نجمات السينما ... زاد اندهاشه ... هز رأسه فى ضيق قائلا : أنا آسف يا عزيزتى فقد هاتفنى البائع منذ لحظات وأخبرنى أنه مضطر أن يرسل أحد عماله ليأخذ المرآة، لأن صناعتها غير دقيقة، فهى

تظهر الوجوه على غير حقيقتها، وبالتالى لابد من استرجاعها خوفا على سمعته التجارية.

قطبت جبينها، نظرت إليه بضيق، زفرت بصوت عال، مشت تصفع أرض الصالة بخطوات مسموعة، عبرت دون تعليق ولم تلتفت ناحيته، عندما تأكد أنها ابتعدت شعر براحة تسرى فى أعماقه، لأنه تلاعب بأفكارها، وانطلقت منه قهقهات عالية دون أن تسمعه ......

عصفـــور

تردد الشفاه فى حزن، عم عصفور مات، توافد كثير من الناس على الحجرة العتيقة، زفرات تتعالى، عيون تحملق فى شفقة على الجسد المسجى على فراش بسيط، مرتبة بالية محشوة بقش الأرز، بطانية مهترئة مكومة تحت قدميه، جلبابه الرمادى الكالح ينحسر عن ساقين رفيعين، القدمان متشققان بحواف جلد سميك، تقاطر كثير من الناس أمام المنزل رجال .... نساء....أطفال، الجميع يشعر بمرارة الفقد، كان صوت عم عصفور مؤنسًا حميميًا، يشعر الناس بالطمأنينة والونس، حين يجول فى الشوارع عندما يرخى الليل سدوله، ينادى بصوته العذب الشجى..... سودانى لوز ....عم عصفور بيمسى على الحلوين ....ببلاش يا لوز...... السلال المعلقة بالحبال تتدلى من البرندات، تتعالى الأصوات لتنادى على عم عصفور، يراقب الأطفال المشهد فى فرح، الصبية فى الشارع يتقافزون حوله، يغدق عليهم بحبات قليلة، يشعر بالسعادة، عندما يتكاثر عليه المتحلقون، يرتفع صوته فى أداء منغم حانٍ يصل للقلوب، صوت عم عصفور ولوزه كان من لزوم ليالى الشتاء الطويلة، لجمع شمل الأسرة فى ثرثرة حميمية، وفى ليالى الصيف التى يحلو فيها السهر والسمر، والضحكات المنطلقة تحلو مع لوز عمّ عصفور، الذكريات

تطوف فى أذهان الناس، تحمل مشاعر صادقة ونبيلة، والجميع وقوف ينظرون فى أسى إلى الجسد المسجى فى سكون، تتردد الحكايات بين الشفاه لتستدعى ذكريات جميلة فائتة، أقسم أحد الواقفين، أن عم عصفور جاد بكل ما يملك من نقود، لمساعدة برعى ماسح الأحذية، لكى يشترى لزوم سبوع وليده الذى رزق به، لأنه كان يعلم بما يعانيه برعى من ضغط الحاجة وقلة الحيلة، قال آخر رأيته بعينى يشترى دواء لسيدة عجوز، كانت تتخذ رصيف الشارع مأوى لها، قال ثالث وهو يقسم بأغلظ الأيمان، أنه استدان من عم عصفور عشرة جنيهات لحاجة ملحة، رفض أن يأخذها عندما هم بردها له، قالت جارته فى الحجرة المجاورة الحاجة سيدة، الراجل ده كأنه من أولياء الله الصالحين، تصدقوا كل يوم جمعة كانت رائحة جميلة تنبعث من حجرته أشبه برائحة المسك، ارتفع صوت أم مينا جارته فى الحجرة المجاورة قائلة: دا كان من القديسين وكنت بشم نفس الريحة كل يوم أحد، أكد أحد الواقفين وكان شيخا وقورا لقد سمعت أنه كان من أبطال حرب أكتوبر، ارتفع صوت أحد الشباب بحماس : لقد رأيته يتبوأ الأكتاف فى ميدان التحرير والناس تردد من ورائه هتافه ... عدل ... حرية ... سلمية ارتفع صوت آخر بحماس أشد: يا جماعة علينا أن نفكر فى الخطوات القادمة، الوقت يداهمنا، ساد صمت لفترة وجيزة، ورددت الشفاة لا حول ولا قوة إلا بالله، فقد وقع الجميع فى حيرة عندما قفز سؤال على الأذهان بشدة .... ما هى ديانة عم عصفور لكى تتم مراسم الجنازة وفقا لها، أقسم البعض بأغلظ الأيمان أنهم شاهدوا عم عصفور يدخل المسجد ليصلى، وأقسم البعض الآخر أنهم شاهدوه

كثيرا يدخل الكنيسة ليصلى .... فتش البعض فى جيوبه، لم يجدوا له بطاقة هوية، انتشر البعض فى أرجاء الحجرة، يفتشون حاجياته المتواضعة، علهم يجدون ما يشير إلى ديانته، وقف الجميع فى حيرة، اشتد الزحام، عندما توافد كثير من الناس من أنحاء عدة ليشاركوا فى تجهيز عم عصفور، ما أثار دهشة الجميع أن كل حى فى المدينة عرف عم عصفور باسم مختلف، عرفه الناس فى حى باسم عم حمام، وفى حى آخر باسم عم غريب، وفى حى ثالث باسم الطيب، ورغم اختلاف الناس فى اسمه، لكنهم كانوا يجمعون على صفات واحدة شهم ... طيب .... متسامح ..... كريم رغم بساطة الحال، وضيق ذات اليد، والناس مشغولة بذكر مناقب الرجل، والاختلاف على اسمه وديانته وعلى الطريقة المثلى التى يجب أن يتصرفوا بها، تنبه الجميع على صوت احتكاك عجلات سيارة بالأرض، ليشاهدوا عربة كبيرة سوداء تقف، نزل منها بعض الرجال الأشداء بزى متشابه ولهم نفس الملامح الصارمة، اخترقوا الصفوف، يتزعمهم كبيرهم، أشار لرجاله بحمل الجثمان إلى العربة، وسط دهشة الجميع تساءل أحد الواقفين: ماذا تفعلون؟ قال كبيرهم: لقد عرفنا هويته وسنشيعه إلى مثواه الأخير بمعرفتنا بطريقة لائقة ... تعالت أصوات محتجة .....نحن أحق به .... لم يعلق أحد من الرجال .... حملوا الجسد فى خشوع ومهابة نحو العربة، دفعته أيديهم برفق داخلها ....تأهب الرجال للانطلاق بالعربة، زفر كبيرهم فى راحة ملتقطا أنفاسه، همس فى أذن زميل له: الآن نطمئن أنه لن يحدث خلاف بين الناس، وانطلقت العربة مسرعة وسط ذهول الجميع.

المقــايضــة

ثمة تقارب يربط بين الرجل والمرأة حين يرتبطان فى علاقة، فإذا كان الرجل بلطجيا أطلقوا على من يحبها عاهرة، وإذ كان الرجل له نفوذ وسلطان، دعوها عشيقة، ومملكة العشق لها طقوسها، وكان حريصًا على هذه الطقوس، أن يتقابلا مرة واحدة كل أسبوع فى الشقة التى تطل على النيل، وهو لا ينسى أن يعطى أوامره لأحد أتباعه المقربين فى المؤسسة، والذى يثق بولائهم، بإعداد كل شىء، بدءًا من «السيمون فى مى» وبطارخ السمك وزجاجات الويسكى وأصناف الفاكهة المختلفة، كانت الليلة مختلفة عن باقى الليالى، لقاء على غير العادة، ليحتفلا بالخبر الذى تسرب إليه من ثقات أنه رشح ليشغل منصبًا هامًا ومرموقًا سيعلن عنه فى القريب، الموسيقى الهادئة تنساب داخل الشقة، تتهادى فى قميص نوم شفيف، يقصر إلى ما فوق الركبتين، يكشف عن قسمات جسدها المثير، يقف قبالتها مداعبا وهو شبه عار، يقتربان، يلتحمان فى قبلة طويلة، تتراجع خطوات فى تدلل، تتعالى الضحكات، يخطو خطوات، يصب كأسا من الفودكا، يتمازحان، يتجه نحو المائدة العامرة، يلتهم بعض بطارخ السمك، يصب كأسا آخر، تمتد

يده إلى علبه مغلقة، يفتحها متناولا حبتين دفعة واحدة، تعلو ضحكاتها ... تقول فى صوت رخيم: يا حبيبى متنساش أنك مغير ثلاث شرايين ..... تعلو ضحكاته وتتحول إلى قهقهات، قال فى صوت عال كمن يستنفر قوته: اليوم مناسبة خاصة، علينا أن نستمتع، قالت وهى تمد يدها إليه : أنا تحت أمرك ...... لكن أنا طمعانة فى كرمك ..... أن يصدر قرارك السلطانى بإعطائى بعض الصلاحيات فى مملكتك الجديدة ..... ضحك منتشيا رافعا رأسه قائلا: أنا دايما كريم معاك أنا مديك صلاحيات كتيرة فى المؤسسة، مضيفًا وهو يحتضنها، وأنا تحت أمرك ، كانت حريصة أن تحدث توازنا بين ما تمنحه له وما يمنحه لها ... كل مرة تشعره أنه ملكها القوى المتوج على عرش قلبها، فى مقابل منحها بعض مفاتيح السلطة فى كل مركز مهم يتبوؤه وتحتفظ به فى جيوبها السرية، لاستعماله كيفما شاءت، الليلة تطالب بمفاتيح جديدة تتناسب مع المركز الجديد طمأنها بقبلة خاطفة وهو يربت على خصرها بحنان، اتجه إلى زر الكهرباء ليقلل الإضاءة، الموسيقى هادئة تدغدغ مشاعرهما ، شعر أن دماءه تفور فى شرايينه، اقترب منها، امتلأ بالحماس، احتضنها ليرتفع بها بين ذراعيه، صور له وهمه أنه يمتلك قدرة خارقة كى يطيرها فى الهواء، ليلقى بها على الفراش، شعر بثقل جسمها، اضطربت أنفاسه، تسارعت ضربات قلبُه، تصبب عرقا، سقط بها على الفراش منهك القوى، شعرت برعب، اعتدلت، اقتربت منه، أمسكت بكفه ..... قال لها فى صوت واهن: اطلبى

الدكتور، زاد اضطرابها، ثارت فى ذهنها بعض الأفكار كوميض برق خاطف أسرعت قافزة نحو حقيبتها، أخرجت منها ورقة على عجل، مكتوب عليها بعض السطور ....اتجهت بها نحوه، مدت يدها بقلم، هز رأسه، نظراته متسائلة، قالت فى صوت واضح النبرات: دى ورقة جواز عرفى يا حبيبى ...... جه الوقت المناسب علشان تدينى حقوقى، أدرك محتوى الصفقة التى تود إنجازها، أمسك القلم بيد مرتعشة ....كتب اسمه ورقم البطاقة. أنفاسه تزداد لهاثا يعلو وجهه اصفرار، أسرعت لتضع الورقة فى حقيبتها، اتجهت إلى سماعة التليفون وقبل أن تمسك بها سمعت شهقة عالية .... اتجهت بسرعة نحوه، شعرت برعب عندما تأكدت أنه لفظ أنفاسه، بسرعة تمالكت نفسها، فتحت الباب، خرجت على عجل، صفقته بشدة واتجهت إلى أقرب بوتيك لملابس السيدات، لتبتاع فستان أسود أنيق لتحضر به فى الغد مراسم الجنازة.

النوم بلا ذكريات

الضوء شحيح، ينسل خافتا من تحت عقب الباب، العتمة تلف كل شىء بالحجرة فى ثناياها، تختفى تفاصيل الأشياء حوله، تتحول رؤيته إلى كتلة سوداء، تجول عيناه فى قلق فتصطدم بالعتمة، تشرد أفكاره، تتوارد ذكريات فى عقله المجهد، يستلقى على ظهره ممددًا، ارتفع بيديه، أخذت أصابعه تعبث فى وجهه، مس برفق التجاعيد المتناثرة فى جبينه وعلى خديه، كأوتار مشدودة، تعزف فى قلبه لحنا حزينا، ترن أصداؤه فى صدره، تنقطع أنفاسه، يزفر بصوت مسموع، تحولت أصابعه من لمس الوجه إلى ظهر الكفين، يتحسس كل كف الآخر ملامسا العروق النافرة، التى كادت أن تخرج من مسارها الطبيعى تحت الجلد، استدار على جنبه الأيسر، ارتفع بيده بحركة لا إرادية إلى رأسه، تحسسها، تنزلق كفاه على رأس حاسرة، يتناثر على جانبيها شعر خفيف، تهاجمه الأفكار بضراوة، شريط من الذكريات يمر فى لمحة، تتداخل الرؤى، وتتزاحم الصور بتداخل مشوش، الذكريات مقبضة، ضغط على رأسه بكلتا راحتيه، حاول أن يفلت من أفكاره المتزاحمة، يفشل فى الهروب، يظل أسيرا لداخله المنقبض، ينثنى ... يتكور، كادت ركبتاه تلامس ذقنه، حاول

أن يفلت من أسر ذاته ليحررها، مرات كثيرة حاول أن يتخذ قرارا، كان دائما يشعر بالتخاذل، يستسلم حرصا على الأولاد... ويعود للمكابدة مرة أخرى صدام ... فراق ...... عودة سيناريو متكرر، لم يهنأ سنوات طويلة، كان دائما يحلو له أن يقوم بدور الضحية فى سبيل وهم زائف فى استقرار مزعوم، والمحصلة ذكريات وأفكار تهاجمه بعنف وضراوة..... فى تلك الليلة قرر أن يتخذ قرارا، أخذ يديره فى ذهنه من كل الجوانب، قرار لو اتخذه سيستريح من عبء ثقل به كاهله، قرر فى الصباح أن يبدأ التنفيذ بسرعة تسللت أصابع كفه اليمنى لينزع فى هدوء الدبلة الذهبية التى تطوق سبابته، قبض عليها بإحكام، خيل إليه أنه يعتصرها، فرد ذراعه نحو النضد المجاور للفراش، قذف بها، لم يحكم التصويب، وقعت الدبلة على الأرض، أحدث وقوعها رنينا خشنا ... لم يهتم بالمكان الذى استقرت فيه... عاد مرة أخرى يستلقى على ظهره ممددا فى استرخاء، طاردا كل الأفكار التى تقلقه لينام بلا ذكريات تؤرقه.

بئر عميق

مشدود القامة متحفزا، يسير بخطوات سريعة، دكنة تغلف الموجودات، تبدو وكأنها أشباح، تجوس فى ظلمة الليل البهيم، يرفع ذراعيه فى الهواء، يفرد أصابع كفيه، تشير إلى نجوم السماء، يحلم بملامسة القمر، تقرع أسئلة حيرى ذهنه، تركل بعنف عقله المجهد، رغبة عارمة تستبد به أن يعرف، أن يحتسى من كأس اليقين، يحاول أن يقتنص إجابات ليريح نفسه الهائمة، وتظل الأسئلة معلقة حيرى، ويظل القلق كبئر عميقة تكاد تبتلعه، يعشق الانطلاق فى طريقه وحيدا، ليتيح لنفسه مساحة من التأمل والبحث عن اليقين، يرى أن عذاب الطريق جزء من وعد الوصول، الذى يبرق داخله حتى لو لم يكن فى تمامه، سيقنع به، ليطفئ نار الشوق للمعرفة، عيناه معلقتان فى السماء، يرنو إلى النجمات المضيئات، تتلألأ شعاعا فى بؤبؤ عينيه، أسراب الطيور تمر فى الفضاء، تشدو بأصوات رخيمة عذبة، تشرخ سكون الليل، تغمره نشوة الونس بالطيور الهائمة فى فضائها الواسع، تنفرج ابتسامة على شفتيه، تتسع ابتسامته حين يتصور أنه صار أحد النوارس، يطير فى السرب المنطلق فى نسق رائع، فجأة تتعثر قدماه فى حجر صغير يكاد يفقد

اتزانه، ولكنه يتماسك ويظل سائرا فى طريقه الخالية من أى أحد، ويقتحم سؤال جديد رأسه .....كيف لهذه الطيور أن تعرف غايتها، وتشق طريقها فى هذا الفضاء المجهول، يضاف السؤال إلى حافظة ذاكرته، التى تحتوى على كثير من هذه الأسئلة المقلقة، يرن جرس الهاتف الجوال، يلتقطه من جيبه، يضعه على أذنه، وما زالت خطواته قافزة، وعيناه معلقتين على صفحة السماء الداكنة، يرتفع صوته فى نغمة حالمة ....ألو ...يسمع وشيشًا دون مجيب، يعيد المحمول بعصبية إلى جيبه، تختفى أسراب النوارس، وينطفئ حلم اللحاق بها، تشق أذنيه أصوات ذئاب الليل تعوى، ونقيق الضفادع تطن، وصراصير الليل تنطلق من شقوقها، شعر باللهاث ودقات قلبه تتسارع، والأسئلة الحيرى مازالت تتردد داخله فى عنف، فجأة يعلو صوت حاد يتألم لكائن ما وطأته قدماه أحس بلزوجة تحت قدميه، حين انغرس حذاؤه فى اللحم الطرى، شعر بقشعريرة تسرى فى جسده، ظل سائرا فى طريقه لا يلوى على شىء ، خطواته تزداد اتساعا، وقلق يغزوه برعب، هزت رأسه حزمة من أسئلة، هل كان عصفورا صغيرا عجز عن الطيران، هل هو جرذ شارد، هل حياة هذا الكائن قدِر لها أن تنتهى تحت وطأة حذائه الصلب، تتعاظم الأسئلة، وتبقى الإجابات عزيزة المنال، تذكر أنه يمارس تلك الهواية منذ طفولته، يمارسها كلما جن الليل، ويأوى الناس إلى فراشهم، وينطلق وحيدا فى طريقه المعتاد مطلقا لخياله العنان وأسئلته الحيرى تتكاثر، ويشعر بالرضا والراحة حين تتعلق نظراته بصفحة

السماء الداكنة، والتى تشق ظلمتها نجماتها المضيئة المعلقة فى قبة السماء، فجأة تعثرت قدماه، طار فى الهواء، هوى فى حفرة عميقة، أفاق من هول الصدمة، استرد وعيه وجد نفسه، مكوما منغرسا وسط بركة من مياه راكدة عطنة داخل الحفرة تماسك وحاول النهوض، وقف على ساقيه المرتعشتين، اصطدمت نظراته بحوائط البئر الداكنة استدار يمينا وشمالا ويده تتحسسان الحوائط الصلبة، تأكد أنه محاصر ولا مهرب، شعر بالرعب عندما هاجمه هاجس الموت، انقباض يطبق على صدره فتزداد ضربات قلبه ويشتد لهاثه، تيقن أنه سقط أخيرا فى عالم من التعتيم والجهامة، توارت الأسئلة فى ذهنه، لم تعد تشغله، انحصر تفكيره فى أن يلتمس طريقا للخروج من البئر فى تلك الليلة شحيحة الضوء.

بــاى يــا جــدو

يطيل النظر للمرآة، يقف أمامها طويلا، يتفحص ملامحه، يمسد شعره، وضع «كريم» لإعطائه بريقا، ليخبئ الشعر الأبيض المتناثر بغزارة، تنظر إليه زوجته والدهشة تعقد لسانها، تزم شفتيها فى ضيق، مشاعر متباينة تجتاحها، أسئلة كثيرة تقلقها تريد أن تطرحها عليه، فضلت الصمت، تركته وتشاغلت فى أمور منزلية، تأنق فى ملبسه، يقترب ويبتعد عن المرآة فى حركات متتابعة، استوثق أن هيئته على ما يرام، فتح البارندة أخذ نفسا عميقا، شد قامته، نظر لحركه الشارع التى تمور بالضجيج، تلاحق السيارات، وصياح الناس، عيناه تحومان تجاه البارندة المجاورة، لمحها تقف متشاغلة بالنظر إلى الشارع، دق قلبه، وجه النظر إليها، مسحت عيناه مفاتنها، يجذبه وجهها الجميل الذى يشع ألقا، وقامتها المديدة متناغمة الأجزاء، نظرت ناحيته، ابتسم ... ابتسمت ...أومأ لها ... أومأت له .... أطال النظر إليها فاستدارت بعيون خجلى للنظر للشارع مرة أخرى، أفكار متباينة تفور فى رأسه، تشعره بنشوى غامرة، دغدغت داخله فكرة الإعجاب المتبادل، دخل فى روعة أنها العتبة الأولى للحب، فسر اهتمامها المبالغ فيه بزينتها، أنها تؤمئ له بطرف خفى،

أنها مستعدة للقاء... استمر في متابعتها، انثنت قليلا على سور البارندة ... لوحت بيدها ... تسارعت دقات قلبه أكثر ... كاد أن يطير من الفرح .... ظن أنه المقصود، ركز انتباهه أكثر، وجد أن انثناءها وحركة رأسها تتجه إلى الشارع .... نظر لأسفل ... عربة فارهة تقف بجوار الرصيف .... يطل من نافذتها شاب أنيق ملوحا بيده تجاهها، ورأسه مرتفعة لأعلى، تنقلت نظراته بين أعلى وأسفل، شعر بالضيق، وضع يده في جيبه، والتوتر يشد قامته في تصلب، لمحها تستعد للنزول، ولكن قبل أن تستدير للخلف، ارتفعت برأسها ولوحت له... قائلة في براءة ... باي يا جدو.

بشر من لحم ودم

تفجر فيمن يراها بركان الحروف، تتشكل الكلمات والعبارات ألسنة لهب، يصطلى بها العاشقون، يصفون فى نَشْوَةٍ، روعة التشكيل لجمال مبهر أخاذ، يتجسد فى صورة أنثى مثالية التكوين، تقفز من رحم الدهشة، تشحذ خيال الشعراء والفنانين. كلما رايتها تأخذ بلبى فأشعر أنى متوّه كمن فى سكرة، اقتربت من مملكة فاتنتى، مستخدما مهارتى الفذة فى فتح مغاليق الأبواب المستعصية للقلاع الحصينة، لم أصدق أنها فتحت باب مملكتها على مصراعيه بمقاومة هينة، لأكون فى حضرتها البهية، منبهرا مأخوذا بالدهشة، بدأت الحديث، ودار حوار بيننا، كنت فيه مستمعا أكثر من متكلم، لا أعرف ما الذى اعترانى من تغير مفاجئ تجاهها، فقد تلاشت الصورة التى تشكلت فى خيالى حين رأيتها، ارتسمت صورة مغايرة صاغتها أذنى جيدا، حين طال استماعى إليها، زادت قناعتى أن رأسها يمتلئ بأحلام ورؤى وتصورات تبتعد عن دائرة عالمى الذى أعايشه، طيرتنى إلى عالم خيالىّ غزلته من خيوطها الوهاجة التى تشع من ألق جمالها المبهر، بغتة قفز فى رأسى سؤال، يحمل فى طياته الإجابة، كيف لعالمها المثالى المفرط فى تصوراته المثالية أن يلتقى بعالمى

المحسوس والذى أعايشه بكدح مضنٍ لأجد فيه موطئًا لقدمى كى أشعر بالرضا بأننى شيدت بيتا أعيش فيه مع حبيبتى؟ وبلا استئذان نهضت مهرولا، قامعا تمردى الذى ساقنى لهذه المغامرة لأعود إلى حبيبتى نور، لأنها بشر من لحم ودم، أحلامها عادية، ولم يلتفت لجمالها الشعراء والفنانون.

تــذكــر

وقف الميكروباص، تسبقه فتاة جميلة، شرعت فى النزول، البنطال ضيق يكاد يعتصر نصفها الأسفل، «والبدى» يلتصق بالنصف الأعلى من جسم رشيق، ينحسر ليكشف عن نصف ظهرها عندما تأهبت للنزول، نظراته تتركز على مؤخرتها، شعر بفوران داخله، رغبة عارمة فى التلامس، تراجع فى اللحظة الأخيرة، عندما تذكر أنه فى مرة سابقة كادت الأيدى تسحقه

إصــرار

ناهز الستين عاما، قضى أكثر من نصفها مع زوجته، بعد رحيلها بفترة وجيزة، راودته أفكار متضاربة، بعد تردد وصلت درجة قناعته، أنه مازال لديه الصبر والإصرار، أن يكمل المسيرة مع امرأة أخرى.

نظرة أخيرة

يمشى مختالا كالطاووس، تتعلق بجناحيه زوجتاه واحدة تتعلق بالميمنة والأخرى بميسرته، تعلو ضحكاته عندما همست واحدة فى أذنه، وتعالت قهقهاته منتشيا عندما همست الآخرى فى أذنه. اتجه ببصره إلى الأمام، لمح امرأة جميلة تسبقه بخطوات، تقاسيم الجسم الممشوق استرعت انتباهه، «الاسترتش» يلتصق بجسم متناغم القسمات، تبرز فى رجرجات مثيرة، لم يعد ينصت إلى زوجته رغم مواصلة ثرثرتها، ظل ينظر ويطيل النظر، دق قلبه دقات متسارعة، تلاحقت أنفاسه عندما داهمته خيالات شبقة، رغبة عارمة تهب داخله كعصف يتقاذفه ويعبث به، شعر بدوار، وقف متصلبا، اهتز جسمه بشدة، تأرجح ما بين زوجتيه، سقط على الأرض منقطع الأنفاس، تعالت صرخات. اختلطت بضجيج الشارع، انحنت زوجته تغطيه بصحيفة ملقاة على الرصيف، ولم تنس الآخرى أن تسبل الجفنين عن نظرة وقحة مازالت عالقة بحدقتيه.

جـدا ..... جـدا....

أغمض عينيه، أخذه حلم، طوف به لعالم خيالى، حلق فى فضاء واسع، تخيل أنه يلمس قبة السماء، يعانق نجمات الليل، ارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة حين لمحها، تتدثر برداء قرمزى شفيف يكشف عن مفاتن مبهرة، ازداد فرحه شعر أنه ملك متوج على عرش ملكة مثيرة يملك مفاتيحها، استلقى على الفراش، اقترب منها، احتضنها بشدة، ارتفع برأسه ليسقط بشفتيه على شفتيها، ليغترف قبلة حارة تزيده التهابا، سرت فى شفتيه برودة، حين بادلته القبلة فى مشاعر متكاسلة، ابتعد برأسه عنها، أطل بنظرة خاطفة لملامحها، شعر بوجهها ساكنا بلا اختلاجة، انتابه قلق، اقترب مرة أخرى زاد احتضانه لها، توسد برأسه صدرها، شعر بالضيق حين بدا له صدرها صلبا باردا، رفع رأسه منتفضا، امتدت يداه ليتحسس بكفيه صدرها، بدا له صدرا صلبا، ثارت فى رأسه، أسئلة حيرى، وكان السؤال الأكثر إلحاحا، أين ذلك الصدر الحانى الذى يمتلئ دفئا وحنانا؟ حاول أن يعاود الكرة لعله ينزع هذا الإحساس المفعم بالقلق، زاد يقينه بعد محاولات، أن الصدر اللدن الناعم الذى كان يتدفق حنانا صار صلبا، وتحول العبق المثير إلى عرق ينز فى غزارة،

والأنفاس المتهدجة تحولت إلى أنفاس خافتة، نهض مضطربا، جلس على حافة السرير محنيا، ضاغطا بكفيه على رأسه، نهضت متباطئة، وقفت بجوار الفراش لتبدأ فى ارتداء ملابسها، رفع رأسه فجأة، اتجه بنظراته نحوها قائلا فى صوت يشى بالاحتجاج؛ ما هذا التحول المفاجئ .... ؟

قالت وهى تغمض عينيها لومضة لتفتحهما بنظرة تصنعت فيها تدللا: على فكرة دى مشكلة ......لم يجعلها تُكمل، قاطعها قائلا فى لهفة: أى مشكلة ..... ردت فى صوت نبراته تمتلئ بالحماس والجرأة: لقد اكتشفت يا حبيبى بعد شهر من الزواج أن ثقافتك ذكورية جدا .....جدا!!.

حكاية فى ثلاثة مشاهد

المشهد الأول

فى إحدى الكافيهات كنت أجلس وحيدا احتسى رشفات القهوة، مشروبى المفضل فى المساء، دخان الشيش المتصاعد يتعالى ويتجمع فى سحابات متناثرة تهاجمنى بشدة، أحاول أن أبعدها عن أنفي، لم أكف عن المحاولة، ازداد الأمر سوءا عندما جلس بجوارى رجل وزوجته وابنتاه، لم تمض دقائق، حتى تعالت زفراته ينبعث منها الدخان بكثافة شديدة ... حلقات الدخان المتصاعدة تحاصرنى، صممت على الفرار من هذا الجو الخانق، قبل أن أهم بالانصراف تناهى إلى أذنى صوت الزوج يرتفع

-روحى انت والبنات واشتروا السندوتشات اللى على كيفكم

-روح انته علشان تشترى اللى على مزاجك

-أنا وأنت واحد، لكن انت تقدرى تتفاهمى مع البنات على اللى يحبوه

نهضت الزوجة، تتبعها الابنتان، استرعين انتباهى، الكبرى فتاة جميلة لا يتعدى عمرها العاشرة، والأخرى أصغر بقليل، كلتاهما تعلقت بذراعى أمهما، وعلامات السعادة ترتسم على ملامحهن، توارين عن الأبصار وسط الزحام الكثيف.

المشهد الثانى

أخرج الرجل الهاتف الجوال، وبدأ حديثه بضحكات عالية مع طرف آخر وتابعت الحوار القائم بينهما، دون أن أتعمد ذلك

-أهلا حبيبتى

....

-أنا فى سيتى مون، معاها ومعانا البنات

....

-لكن انت اللى فى القلب

....

-صدقينى

....

-لابسة أيه

....

عظمة ...... عظمة

....

-هنتقابل قريب

....

-صدقينى ،،... خيالك ما بيفارقنيش

....

-نتقابل بعد بكرة

....

-اطلبى اللى نفسك فيه حمام وكفتة وكباب

....

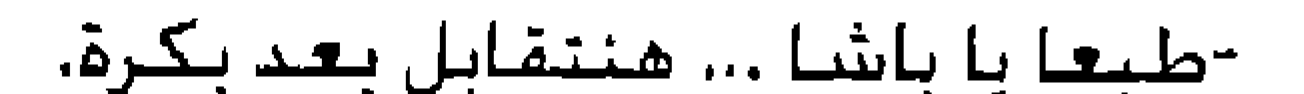
-انت عارفة غلاوتك أد أيه

- ....

- سيبك من الحكاية دى علشان خاطرى

المشهد الثالث

تقبل الزوجة والطفلتان، يحملن أكياس السندوتشات، أسرعت الأم بفتح الأكياس، والصغيرتان تمتد أيديهما لمساعدة الأم فى الإعداد ...... والرجل ما زالت ضحكاته ترن، مستمرا فى المهاتفة ... ولكن النبرة وضمير المخاطب تغير



-طبعا يا باشا ... هنتقابل بعد بكرة.

-..............

-دا كلام رجالة .... مهما كانت المشاغل

- ....

-إطمأن الثقة متبادلة ..... يا باشا

....

-بارك الله فيك ....كتر الله من أمثالك .... السلام عليكم

بعد أن انتهى من مكالمته، شعرت بضيق يغزو داخلى، مسرحية سخيفة فرضت على مشاهدتها غصبا، ولم تسعدنى، ارتفع صوت الزوجة متسائلة .... كنت بتكلم مين؟

أجاب فى نبرة جادة ..... غانم بك راجل بمعنى الكلمة، من رجال

الأعمال المحترمين .... اتفقنا على صفقة كبيرة ..... فيها مكسب كبير بإذن الله...... اتجهت ببصرى نحوه حانقا .... زاد غيظى عندما ابتسم لى وغمز بعين وحاجب، لكى يشير لى بطرف خفى، أنه يفطن لمتابعتى حديثه، امتدت يد الزوجة بسندوتش قائلة فى صوت دافئ حنون: بالهنا والشفا، تناوله فى صمت دون أن ينظر لأى أحد، وبدأ يلتهم الطعام فى نهم.

دجاجة تهرب للقن

جلست قبالتى، واجمة حزينة، كنت قد استدعيتها بمهاتفة، لم تخذلنى، رغم أنها غادرت البيت منذ يومين، بعد شجار حاد، كل منا يخفى بين جوانحه بقايا حب، واحترام لم يُخدش، جلسنا نطوى تحت إبطينا دفترا خُطت سطوره من سيل المواجع، تتقدمنا صخور العتاب، نحاول القذف بها، تدمى أقدامنا،نتصلب فى درب المعاندة.... هى هى ..... وأنا أنا ..... كل منا يتوهم احتكار الحقيقة، تبقى المكابرة لتجفف منابع التفاهم، تململت فى مكانى، لم أعد قادرا على إخفاء رهبتى من هذا اللقاء المتوتر، أخذت أسوح فى أودية الفكر، أين أسند رأسى المجهد؟.... دققت فى ملامحها، نظراتها مذعورة، تشى بالحيرة وتنبئ عن الارتباك، خلافاتنا خرجت من خروقات صنعناها، السفينة تغرق عندما يزيد طرف ما الخرق اتساعا، هرب كل واحد منا ليستتر فى ظله، أو فى عراء الأوهام التى صنعتها مخيلته تنبهت من أفكارى المتلاحقة على صوت النادل وهو يضع أكواب الشاى أمامنا، مازال الصمت يرين، والذكريات تتداعى، كانت ذكرياتى كسوءتى أحاول أن أخفيها، كنت أتابعها....أهدابها مرتخية على نظرات منكفئة، حتى لا يتلبس أحد منا بالنظر إلى

الآخر، لمحت ارتعاشة على شفتيها، وغيمة حزن تطوف بحدقتيها، تهتز كغصن ذابل يعبث به الريح.....

بدأتُ الكلام، تحدثت عن ذكريات فائتة، كلماتى مغموسة بلون الحزن، حروفها ترن بصدى مجلجل كمن أشرف على الغرق، كانت تنصت وعيونها مسافرة فى عوالم خيالية، جسمها يزداد ارتعاشا.....

أخذت أسرد حكايات معادة، متى بدأ الخلاف وكيف تصاعد ليقتل الحب، حاولت أن أمهد لمرحلة جديدة، تماديت فى سردى دون ملل، مدركا أن محاولتى كالإفلات من غرق محتوم، توقفت عن السرد ..... التزمت الصمت ..... كلانا نظر إلى أفق لاهٍ عن أحزاننا، ليبتلع الشمس الغاربة، وظلمة تهل بلا توان، عدت لحكاياتى .... تذكرت بعض قصائدى القديمة، أخذت اتلو على مسامعها أبيات منها .....

قاطعتنى قائلة فى صوت مرتعش حزين: أشعارنا لم تعد تطرب، لأنها أصبحت كأشعار النفاق فى بهو السلاطين.

قلت فى إصرار: لم تفلت منا الفرصة

ردت وهى تهز رأسها فى أسى : فلتت منا ولم ندركها.

قلت محاولا استمالة عواطفها: بيتنا مشتاق إلينا، رغم العواصف مازال ملاذنا ومرسانا

قالت فى صوت تعالت نبراته : البيت صار له باب منخفض تصطدم به

رؤوسنا عندما تؤوب إليه، ترهلت فيه اللهفة صارت مللا. مات الاشتياق، هربت منه السكينة، سراج البيت صار يتثاءب فتيله، من لفحة هواء خفيفة

- صدقينى شموع بيتنا مازالت تشتعل

- صار القلق يدس أصابعه فى تلافيف الظلمة، ينكفئ كلانا فى أماكن متباعدة، كل منا يمتحن حواسه فى تلك الظلمة دون أن يفكر فى البحث عن الآخر ليمد له يد العون

سكتت فجأة وشردت نظراتها إلى اللا شيء فى أفق بعيد.

حديثها عن الظلمة ذكرنى، أنه فى ليلة اشتد الشجار وباعدتنا ظلمة ضارية، انكفأت على وجهى، زحفت... تحسست يداى شيئا ..... أمسكته .... استعاد خيالى رغم الظلمة، عروستها الدمية، التى ابتعتها لها فى أول لقاء بيننا، كادت تطير فرحا..... قبلتها بلهفة كإشارة لتظهر مدى امتنانها وحبها .... تحسست الدمية ....وجدتها بلا ساقين، والرأس تهدلت، لم يعد يربطها بالجسم سوى خيط واه ، انتفض قلبى حزنا، استدعيت أشعارى القديمة التى كنا نشدو بها، أبياتها فيوضات تتدفق من نبعين ليلتقيا فى نهر دافق، أشعارى مازالت ترن أصداؤها داخلى، رغم عتمة الليل البارد. الدمية تسحبها يدى لتستقر بين أحضانى.

أفقت من سرحانى وعدت أنظر إليها فى شغف ولهفة، لمحت دموعها المحتبسة فى مقلتيها، وغيمة حزن ساكنة، أعطيت لها منديلا، تلامس

الكفان بارتعاشه عابرة، باغتتنى صورة من مشهد قديم، يتلاقى الكفان فى لغة لهفى كى تتعانق، نتوحد فى اللحظة، ننسى الزمن وينسانا، الذكرى دغدغت مشاعرى، حاولت محو الماضى لنقفز فوق سحابات الحلم......

قلت: علينا بالنسيان ونعود لبيتنا، دون أن ننكأ الجراح

قالت: لو عدنا سيقرع كل منا على الباب بعنف، فقد فقدت مفاتيحه، الباب موصد تكتنفه الظلمة، قد نضب الزيت فى السراج

كلماتها كانت كوقع صخرة هائلة تتهاوى على صدرى تكاد تكتم أنفاسى، تصاعدت أسئلة فى ذهنى كأبخرة تكاد تخنقنى، بقيت حائرة مضطربة بلا أجوبة، تمالكت نفسى لأطرح سؤالا، كان يلح على ذهنى ويحيرنى، ألقيته على مسامعها وأنا فى عجلة لأستمع لإجابتها..... من كان المخطئ ....؟

سادت لحظة من الصمت والترقب ثم قالت فى صوت خفيض مشروخ النبرة: سألت نفسى هذا السؤال، كان الجواب يتردد داخلى، ترن أصداؤه فى ذهنى، كلانا ظالم ومظلوم، لا أحد يدعى أنه يعرف من كان الذئب ومن كان ابن يعقوب ......

كلماتها يتردد صداها بداخلى، رغمًا عنى امتدت يدى لأمسك براحتيها، لم تمانع، نام كفاها على راحتىَّ فى استسلام، دق قلبى بعنف، مازال حبها يتغلغل فى شراييني، التمعت عيناها بالدموع، تقاطرت حباتها كعقد من الألماس........

قلت فى صوت هامس حنون : مازلت تحبيننى ....

قالت والدموع مازالت تتساقط : ومتى كرهتك

- إذن علينا أن نهيئ الطريق لمرحلة جديدة

- طريقنا مختلف، وكل واحد عليه أن يبحث عن طريق يريحه

نحن نحتاج أن نبحث عن طرف ثالث لتقريب وجهات النظر

- أنت تعلم أن طول خلافاتنا، لم نشأ أن يتدخل أى أحد، كان يقيننا أنه كملقن غفل فى مقصورته، لم يعد قادرا على ملاحقة الممثلين على المسرح، كل منا يحفظ دوره بإتقان، يعرف لُحمة نص ماثل فى ذهنه، رغم هذا انطلق كل واحد منا يرتجل ما شاء، يقول ما يحلو له، وفى جنبات المسرح، صوت كل منا يتردد مجلجلا ...... برىء..... برىء

- مازلت أجاهد فى حبس دموعى ، قلت فى إصرار: لماذا نكف عن المحاولة لمواصلة الرحلة؟

أطرقت برأسها وقالت فى صوت يائس حزين : حقيبتنا منتفخة وهما بزاد قليل، لا يكفى لمواصلة الرحلة

- لكن لو افترقنا سيكون طريق كل منا وعرًا ومرعبًا

ردت فى ثقة: ليس أسوأ مما نحن عليه

- إلى هذا الحد بلغ يقينك

- عندما تفقد اللغة قيمتها كوسيلة للتعبير، وترتفع اليد لتهوى الكف ليشق جدار البيت فيتداعى، صار بيتنا أحجاره ملقاة فى الطريق كعثرة

- خطأ قد يكون له تبريره ....

- أنا لا ألومك ولا أحاول أن أعمق شعورك بالذنب .... صدقنى أنا أحاول أن ألملم بقايا كرامة مهدرة، ولنفترق أصدقاء

ألجمتنى، أحسست بالعجز، وأن سيفى من ورق، ودرعى تشظى إلى حطام، آثرت الصمت وأفكارى تعصف بى ....تململت فى جلستها، أحسست أنها تبغى الرحيل ....نهضنا ......حاولت أن أبدى صلابة مزعومة ....وتحاشى ما يجعلنى فى اللحظة الأخيرة كخيال مآتة، منتصبا بلا روح، ليفزع طيرا على وشك الانطلاق فى فضائه، حاولت التماسك فى تلك اللحظة الفارقة، التى انفرط فيها العقد، ليلتقط عرض الطريق حباته المتناثرة ....

مدت يدها لأصافحها، تلاقى الكفان فى وداع كقبلة أخيرة، وقفتُ كمن سكر دون شراب، داخلى يتهاوى، رغم زيف انتصاب كاذب، شددت على كفيها، قبضت بشدة، تهيأ لى أن شرايينى تضخ فى شريانها دمائى، دموع حائرة تتدفق بغزارة على وجهها الحزين منطفئ البريق.........

قالت قبل الرحيل فى صوت خفيض: على فكرة صبى الكواء

أحضر القمصان والتيشرتات.....تجدهم فى أسفل درج فى الشوفنير ..... كذلك أعدت الزرار المفقود لياقة القميص الرصاصى ...... سحبت يدها، تركتنى فى العراء كمن وقف على جرف هائل على وشك السقوط، استدارت لتسير بخطوات متثاقلة، نظراتى تتعلق بها، قلبى ينتفض تائها فى دكنة لحظة مقبضة، شعرت أن بداخلى دجاجة خائفة مذعورة، تحاول أن تؤوب إلى قنها.

رائحــة

- قال لصديقه فى حدة: بصراحة أنا غير راض عن علاقاتك النسائية المتخبطة ، ولا أعرف لها مبررًا.

أجاب فى ضيق: لقد صدمت فى حبها، لقد هدمت المعبد الذى شيدناه معا، لنمارس فيه طقوس حبنا ... هربت مع رجل آخر ارتفع صوته معقبا: ثم ماذا...

وضع ساقا على الآخرى، قائلا فى صوت مشروخ بحزن دفين: صار المعبد أرضًا خربة ... يبابا... اقتنصت الفرصة أمارس فى هذه الأرض الخربة اغتيال كل امرأة، بالقفز فوق أشلاء جسدها... دون تمييز بين هانم وبائعة حلوى

ربت صديقه على كتفه ضاحكا فى استهزاء قائلا: من الآن تيقنت بصدق المقولة التى أشيعت عنك

نظر إليه بنظرات متسائلة قلقة قائلا فى حدة وغيظ مكتوم : أى مقولة تقصد... ؟

قال صديقه وهو يقهقه: لقد صرت أشهر صاحب رائحة نتنة تزكم الأنوف فى المدينة.

شـــاعـــر

اتجهت الأنظار إليه وهو يجلس متربعا فى صدر الندوة، شعر ببرودة تغزو أعماقه، واضطراب يحتويه، بمشاعر قلقة، حاول أن يستجمع شتات نفسه، أعلن فى نبرات مترددة أنه كتب قصيدة رائعة، واستعد لإلقائها، صفق الجميع بتراخ دون حماس، كأنهم على يقين، بأن القصيدة لابد أن تكون مرثية ينعى فيها نفسه لسقوطه المروع فى كتابه الأخير.

صرخات فى ليل طويل

يستلقى على الفراش هامدا بلا حراك، والأنبوب اللعين يخترق منتصف بطنه، وآخر يغزو مجرى البول ينتهى بكيس من النايلون، لتجمع البول والدم النازف من أحشائه، ألم مضنٍ يعتصره، يتوقف فجأة اندفاع البول فى الأنبوب بفعل سدة دموية تعوق انسيابه، يصرخ من شدة الألم، يتصبب عرقا، يرتعد جسمه بهزات متوالية، يزداد صراخه، تهرول الممرضة نحوه، تكشف الغطاء، تضغط على الأنبوب لتحريك السدة، يزداد ألمه، تسرع فى إحضار حقنة كبيرة تملؤها بمحلول، تدفع بها من فتحة الأسطرة، تتراجع السدة الدموية ثم تعود لتندفع خارجا بعد شفط المحلول بالحقنة مرة أخرى، يعود إليه الهدوء للحظات ..... تتكرر نفس المعاناة مرات ومرات على فترات متقاربة، يزداد صراخه المكتوم، يشرخ سكون الليل .... تهرول الممرضة مرة أخرى ويلحقها الطبيب المناوب... يعود السيناريو مرة أخرى، ملامح إنقباض ترتسم على الوجوه، وعلامات الإشفاق تتبدى فى اللهفة على سرعة إزاله السدة الدموية، يحاول أن يكتم صرخاته، إشفاقا على باقى النزلاء... الألم يزداد ضراوة يفوق احتماله، يسرع الطبيب ليغرز حقنة مهدئة فى إليته، تؤثر تأثيرا

طفيفا، الألم مازال ينهشه فى ضراوة، رغما عنه دموعه تنساب بغزارة من عينيه المجهدتين، تذكر أنه من سنوات طويلة لم يبك، كان يعتقد أن الدموع تحجرت فى مقلتيه من تراكم أحزانه، الألم المضنى يفجرها كنبع فوار متدفق من أعماق تفيض بالألم........ رغم آلامه المبرحة يتداعى فى ذاكرته مشهد يلح فى صورة متكررة يزيد من آلامه، حين هاتفها فى محادثة مازالت ماثلة أمامه، تهز ذاكرته بشدة، تُوجع داخله بصورة أعنف مما يكابده من جرحه النازف... صور متلاحقة يستعيد فيها ما دار بينهما من حديث،عله يلمس فى ثناياها بصيصا من الأمل يمنحه ومضة خاطفة تشعره بأمل احتمال مجيئها

-ازيك ...... وحشانى

-شكرا

-بقولك إيه

-نعم

-الخصام طال

-كدة مرتاحين

-أنا محتاج لك ..... بكرة داخل عملية كبيرة

-...............

-أنت سمعاني

-معاك

-أشوفك

-مش مهم حضورى

-قلبك قاسى للدرجة دى

-مفيش داعى للتأنيب

-على كل ....عنوان المستشفى ....

توفقت المهاتفة..........ظل الأمل يداعبه لمجيئها ..... ظل ينتظر فى ترقب طوال اليوم، لم يقلقه أنه سيكون بين يدى الجراح بعد وقت وجيز ... تيقظ من سرحانه حين دخل الممرض لتجهيزه للعملية امتثل لأوامره، خلع سرواله، باعد بين الفخذين، بدأ الممرض يجوس بشفرة الموس فى نصفه الأسفل، ليجتث الشعر المتناثر على البطن والفخذين والعانة، شعر بانقباض يغزوه لفقدانه الأمل الذى ظل يراوده بمجيئها.... يعود الألم يقطع أحشاءه .. يزداد صراخه لتعود الممرضة لتكرر ما فعلت من قبل، وتظل المهاتفة تغزو عقله بعنف، تورقه وتضاعف من آلامه، تذكر أنه فى اللحظة الأخيرة وهو مستلق على «التورُلى» والممرض يدفعه إلى حجرة العمليات، كانت عيناه مازالتا تدوران فى قلق، متفحصة وجوه العابرين، علّه يلمحها مقبلة عليه، فى اللحظات الأخيرة، استسلم حين دفع الممرض «بالتورللى» إلى الداخل، تسارعت دقات قلبه وهم يطرحونه على سرير العمليات دون أن تبرح المهاتفة ذاكرته، تداخلت الصور حين

أحاط به طاقم الأطباء والممرضين، ليغيب عن الوعى، ويفتح عينيه بصعوبة، يجد نفسه منطرحا على الفراش والأنابيب اللعينة تخترق بطنه، نوبات الألم تتكرر، يشعر أنه سكين يقطع أحشائه، وسكين آخر أمضى نصلا ينهش داخله حين تعاوده صورة المكالمة تهز ذاكرته من جديد، بدأت الآلام تخف حدتها، تتداعى فى ذهنه أفكار شتى وذكريات ماضية، حاول بهدوء أن يعيد قراءتها من جديد، فى أعلى الحجرة نافذة زجاجية تعلو رأسه، امتد ببصره وراءها، ضوء القمر شاحب، يحاول اختراق ظلمة السحابات الداكنة، مازال متلألئا فى السماء، أغراه المنظر، خلب لبه، صوت طائر منطلق فى الفضاء يترنم بصدح رائع، بغتة شعر بفيض من نور يغزو داخله، كومض خاطف جرده من جسده ليصير روحا، هائمة تسبح فى فضاء رحب، لتحلق مع الطائر الليلى، شعر بسكينة تهدهد أعماقه، والآلام المبرحة تكف عن هجومها الشرس، حينئذ استقر فى وعيه ما يشبه اليقين، أن عليه أن يطلق سراحها بإحسان، ليبدأ التحليق من جديد مع طائره الليلى فى فضائه الواسع.

سفـر طويـل

أشعر بالرعب متخيلا أن جدران الزنزانة تتحرك تضيق وتقترب إلى حد التلاصق، لتسحقنى كمن سقط بين فكى رحى، دقات قلبى متسارعة، أنفاسى لاهثة، فضلت الوقوف عن الجلوس القرفصاء، حتى لا أشعر كأنى فأر مذعور، الوقوف يريحنى، أشعر بقليل من الهدوء حين أرتفع برأسى، لتقع عيناى، على فتحة فى الجدار، أشبه بنافذة صغيرة، يترشق فى فراغها، قضبان حديدية، كانت منفذى الوحيد على العالم، تطل منها الشمس على استحياء لفترة وجيزة، أرقب منها قدوم الليل وانصرام النهار، صوت الأقدام الغليظة ترسل إيقاعات رتيبة تثير فى نفسى الضيق، تتناهى إلى أذنى نكاتهم البذيئة، وتعليقاتهم الوقحة، أشعر بالرعب حين أسمع أصوات صرخات متألمة مستغيثة، أتحسس ندبا كثيرة فى جسمى، وأتذكر الليالى المضنية أحاول أن أتشاغل عن أفكارى المقبضة، تسيطر على كيانى مشاعر اللهفة والانتظار، لقدوم صديقى الصباحى، يأتى دائما بعد شروق الشمس، يحط على نافذتى، قدومه يبعث فى نفسى الفرح، يتقافز بإيقاعات راقصة، يؤنسنى بشدو زقزقته، يظل وقتا يمرح طائرا فى فضاء الزنزانة الضيق، ثم يحط على النافذة

فى استراحة قصيرة ليعاود دورته من جديد، حين يرفرف رفرفات متوالية، ينخلع قلبى للحظة الفراق، تتعالى زفراتى ويزداد وجيب قلبى، وعيناى تتعلقان به، وكأنه يشعر بكمدي، فيعود خافقا بدورات سريعا ويعود يشدو بصوت شجى يطربنى، أشعر بسكينة لزيارة صديقى، لا أبالى حين يدور مفتاح باب الزنزانة ليفتح بفرجة صغيرة، ثم تمتد قدم بحذاء غليظ لتدفع بطبق الطعام للداخل، ثم يصفق باب الزنزانة بصوت مزعج مدو، ويعود المزلاج يدور ليحكم إغلاقها، أنظر نحو الأطباق باشمئزاز، حين ألمح تقارب طبق الطعام مع دلو الفضلات، أشعر بقشعريرة وتأفف، شعورى بالضيق الخانق يجعلنى أهرب متابعا عصفورى الصديق، يدخل فى روعى بأنى صرت روحا هائمة تعانقه، تحط على جناحيه، لتطير معه حين ينطلق فى فضاءه الواسع، ينقبض قلبى حين يرف بجناحيه رفات متوالية، لأنى أعلم أنها إشارة انطلاقه لرحلته النهارية، تخبو فرحتى، ويعود الحزن ليسكن قلبى، أكف عن التحديق فى النافذة، تتهدل أجزاء من جسمى مرتخية، أجلس القرفضاء، متكورا، لتسقط رأسى الكليلة فوق ركبتى، شاردا فى حلمى منتظرا صباحًا جديدًا لكى يأتى صديقى، لعله يحمل فوق قدميه بعض تراب الوطن، لكى أتيمم به، لتبدأ صلواتى كى يفك أسرى .... تعود الأقدام الغليظة تدب فى خطوات تصفع الأرض بعنف.... تقترب من باب الزنزانة ..... أنتفض .... يتسلل الرعب إلى نفسى، أتيقن أنها بداية دورة جديدة من عذاب الاستجواب، لا أشعر بالخوف والرهبة وتظل قناعاتى ثابتة،

أن الحرية لابد أن يكون لها ثمن حتى لو أزهقوا روحى، ستظل قنديلا مشتعلا ينير الطريق للآخرين، وتهدئ من روع الثكالى والمحزونين، الأقدام الغليظة تكف عن إيقاعاتها الكئيبة، أتيقن أنهم أرادوا بث الرعب فى نفسى فقط، ويرجأ التنفيذ ليوم آخر.

حاولت اقتناص الفرصة وبدأت أخرج ورقة بيضاء وقلما كنت قد خبأتهما عن عيون مترصدة وقحة، وبدأت أكتب خطابى للأهل، بمداد بعض قطراته من دمى، لأعلقه بجناح عصفورى عندما يأتى ليطير به حيث الأهل فى غزة باعثا أشواقى إليهم، وأحذرهم من شر الفرقة ليظل الجسد ملتحما بالرأس، وتستمر دفقة الحياة فى شرايين الوطن، طويت الخطاب وانتظرت وطال انتظارى ولم يأت عصفورى، اشتد حزنى عندما سمعت همسًا يخترق أذنى، أن عساكر السجن نفذوا أوامر قادتهم بقتل جميع عصافير المنطقة.

صـــلاة

لمحها تقف وراء النافذة .... تابعها بنظرات متلهفة، شعرها منسدل يتناثر فى توحش مثير على كتفيها، تجمح خصلة على جبينها، ترفعها فى تدلل، عينان واسعتان تحيط بجفنيهما هالة من الكحل، رُسمت بإتقان تزيد جمالهما، وتزيدهما ألقا يعلوهما حاجبان رسما على شكل هلالى، يطلان فى جبين ناصع البياض، تتثاءب، ظهرت أسنان بيضاء لولية، قوة جاذبة تدفعه ليدور فى فلكها، يرقبها بأعصاب مشدودة، فردت ذراعيها إلى أعلى، تتمطى، ينفرد الجسم الممشوق، فتبدو رجرجات بروزها المثيرة، تنفتح مسامه، ينظر فى وله مشبوب كمن فقد عقله، تمسح عيناه قسمات الجسم مستنطقا مفاتنه، يأخذه خياله إلى حلم خاطف يدغدغ أعماقه، يشتهى أن يتوسد ما بين النهدين، يختبئ بينهما، يتوق أن يعب من شفتين كريزتين ليظفر برشفات من كأس يمتلئ بجمر المنى ليسكر، يطيره الحلم، أجنحته ترفرف فى الفضاء، يفرد ذراعيه فى الهواء، يتماوجان، يثنيهما، يفزع عندما يتنبه أنه احتضن الهواء، تعاوده أحلامه بلجاجة ليتوه فى نشوى متخيلة ترضيه، يشط خياله ليتصور أنها بجانبه يتهامسان، يتوحدان، يشعر بارتعاشة داخله

تهدهد أعماقه، يستيقظ من غفوته، ليجد كفيه يقبضان على مقبض النافذة، يستند على حافة النافذة، مختبئا وراء ستارتها يتابع حركاتها، تنحنى لتعدل من وضع الفراش، ينحسر الثوب فى طوقه الواسع، يبرز نهدان نافران، يزداد توتره، تتجه إلى الشوفنير، تمسد شعرها بهدوء تطيل النظر إلى المرآة، تتفاذفه أحلامه يظن أنها تخايله وترسل له إشارات تستفز فيه الرغبة ..... بغتة تهدل جسمه فى ارتخاء عندما شعر بيد تربت على كتفيه فى حنان، وصوتها الشجى يهمس فى أذنه تذكره بصلاة العشاء.

طلقات طائشة

يطارده خوفه، أدمنت عيناه السهر، حين يحملق فى الظلام يزداد توتره، ترتعد فرائصه لسماع حفيف أوراق الشجر، يرتعش خوفا حين تحتك عجلات سيارة بالأرض، يطلق الرصاص أحيانا على ظله إذا خايله، ظنا منه أنه أحد الذين يطلبون رأسه، يحتضن سلاحه حين ينزوى فى مكان آمن، ليغمض عينيه قليلا لينال قسطا من الراحة، كان اليوم طويلا، أجهده الانتقال من مكان لآخر كى يتوارى، أخذه التعب، هد جسمه، غربت الشمس بدأ الليل يزحف، ألح عليه خاطر البحث عن مأوى ليقضى فيه ليلته، لمح كوخا وسط الزراعات، اقترب ناحيته بخطوات حذرة، عيناه تمسح الأشياء بدقة، وجد الكوخ مفتوحا، دلف إلى الداخل، لمح قش أرز ملقى بإهمال بأحد الأركان، فضلات طيور متناثرة بغزارة على الأرض، شعر بشىء من الطمأنينة، أحكم غلق الباب والنافذة، اتجه إلى الركن، توسد قش الأرز، تمدد، ترك لجسمه العنان، نظر إلى سقف الحجرة، الظلمة تنشر غلالة سوداء تشعره بالانقباض، يزداد قلقة حين تمثلت فى ذهنه فكرة أنه أول المحرقة، النبراوية يبحثون عنه فى كل مكان، والقانون السائد الرأس بالرأس والبادئ أظلم، هدته الأفكار، أغمض

عينيه فى غفوة قلقه، شعاعات داهمته من ضوء الفجر تتسلل من ثقوب سقف الحجرة، اخترق أذنيه صوت جلبة وضوضاء خارج الكوخ، أرهف السمع، حفيف أوراق الشجر، أياد تعبث، خربشات، التفسير الأقرب إلى ذهنه أن النبراوية تعقبته، أحكمت حصاره، الأصوات تتعالى عند الباب، لابد أنهم قادمون، لن يمضى وقت طويل حتى يقتحموا الكوخ، ويمطروه بوابل من الرصاص، سوف يتناثر جسمه إلى أشلاء، دخل فى روعه أن القرار الصائب مباغتتهم، ارتفع برجله لأعلى وبقوة اندفع بها ليفتح الباب على مصراعيه عنوة، ضغط على زناد الآلى، دفعات قوية من الرصاص تنطلق فى كل اتجاه، سرب هائل من الحمام يقتحم باب الكوخ فى اندفاع شديد، منطلقا فى فضائه، اصطدمت بعض الحمامات بوجهه وصدره، وأغرقته دماؤها حين سقط بعضها مضرجا فى دمائه، بفعل رصاصاته الطائشة، شعر برعب، سقط على الأرض لافظا أنفاسه، فقد صور له وهمه أن الطيور التى اصطدمت به وأغرقته دماؤها، ما هى إلا رصاصات النبراوية التى اخترقت جسمه بعنف فمزقته إلى أشلاء.

ظلال على جدار البيت

وجهها مربد محتقن، تقف قبالتى تصيح، تلوح فى وجهى، لم أعبأ بها، ولم يقلقنى صوتها أو حركاتها المتشنجة، ما يرعبنى تحرك جدران الحجرة، أشعر بهلع، أفكارى تتمحور، خشية اللحظة القادمة حين تقترب الجدران أكثر، بالتأكيد ستتلاصق، ستسحق كلينا، لم تتمهل حتى نقضى نحبنا معا، أسرعت وأخرجت نصلا من بين طيات ملابسها.. رشقتنى به، اخترق الصدر، نزف الدم بغزارة كان آخر كلامها وهى تفر هاربة ... سأرتاح من الآن بعد أن تخلصت منه، ما إن فرت وصفقت الباب وراءها بشدة،حتى أصابتنى الدهشة عندما وجدت أن النزف قد توقف، وجدران الحجرة تتباعد لتستقر مكانها، شعرت بإجهاد يهد جسمى ودوار يصيب رأسى، هربت إلى الفراش، استلقيت على ظهرى، لم يغمض لى جفن، نظراتى مثبتة نحو سقف الحجرة، تهاجم رأسى كثير من الصور المفزعة، صرخاتها مازالت تدق بعنف رأسى المجهدة، وضعت ذراعى على رأسى ضغطت بشدة، فشلت فى استجلاب النوم، ظلت يقظتى كغيبوبة تتأرجح بين الحلم واليقظة، تدافعت الأفكار فى رأسى كتيار هادر إلى أن سقطت فى سبات عميق.

استيقظت في الصباح، جسدى منهك، مفكك الأوصال، استنفرت ما بداخلى من قوة، نهضت من الفراش، مشيت خطوات فى تثاقل. جلست على أقرب مقعد، نهضت لأعد فنجان قهوة، احتسيته ببطء، محاولا إزاحة آثار النعاس من عينى، نظرت إلى الجدران، شعرت بطمأنينة أنها مستقرة، لم يعد صوت صراخها يرن فى أذنى، فتحت التليفزيون أخذت يدى تعبث بمفتاح القنوات، القنوات مكتظة ببرامج التوك شو، توقفت على أحدها، أصابتنى الدهشة حين وجدت المذيع يصيح وباقى الضيوف تختلط أصواتهم العالية، شعرت بالخوف الذى انتابنى ليلة البارحة، الصور تتداخل تذكرت وجهها المختنق وصوتها العالى، مختلطا بالأصوات الصائحة والمحتجة، يقفز المذيع من الشاشة ومعه المتحلقون حوله، يقبلون نحوى مهرولين. أجلس بمقعدى منكمشا، أشعر بالضيق حين يعلو السباب، وتزداد اللعنات، يدفع أحدهم فى وجهى بصور مقبضة... زبالة، قطار محطم، أشلاء متناثرة، يقذف آخر بصورة فى وجهى، لعمارة تحولت إلى ركام، نهضت من مكانى مفزوعا محاولا الفرار منهم متجها إلى مفتاح القنوات لأديره، قنوات تتحدث عن العفاريت وأخرى عن تفاسير الأحلام، ومذيع يلح، اتصل الآن، امتدت يد تقبض على ذراعى بقوة تحاول أن تدخلنى فى دائرة حوار عن الحلال والحرام، استطعت الإفلات بصعوبة، أسرعت بغلق التلفاز، شعرت براحة عندما توقف الضجيج، استدرت ناحية المطبخ، لأعد فنجان قهوة آخر ينعشنى، لمحت على جدار المطبخ نشعا، تجمدت فى مكانى

مذعورا، حين دققت النظر إليه، نفس الوجوه التى رأيتها فى التلفاز منذ دقائق.... الصياح ... عبارات السباب والشتائم، وتلوين كل شىء بألوان قاتمة كئيبة، تحسست رقبتى حين شعرت بحبل غليظ يلتف حول عنقى، والمرأة تجذبه بعنف، قررت الهروب استدرت مهرولا نحو الصالة، جلست خائرًا منهك القوى على أحد المقاعد، حاولت إغماض عينى لألتقط أنفاسى وأشعر بالراحة والهدوء، قفزت فى رأسى فكرة استحسنتها، قررت منذ اللحظة أن أنفذها، سأكف عن شرب القهوة وقراءة صحف الصباح، ومشاهدة التلفاز، ومخالطة الناس، وسأهرب من المرأة ..... فجأة شعرت برعدة تتملكنى حين امتدت أياد لتقبض على ذراعى بعنف محاولة شل حركتى، وصوت المرأة يصيح مرة أخرى وهى تلوح فى وجهى بصورة أكثر عنفا، قائلة لرجل يقف منتصبا أمامى بنظرات فاحصة: بقول لسيادتك هو على الحال ده من شهر تقريبا...

ظمـــأ الــــروح

تخير مقعدا فى ركن قصى داخل القاعة، احتواه بنظرات ثاقبة مدققة، استرجع فى ذاكرته صورًا من ماض بعيد، توارت سنون طويلة سريعا، تحت وطأة اللهاث، السباق المحموم يفجر الطاقات ويغير المسارات، تترى الذكريات، تتقافز فى ذهنه رحلة الصعود والهبوط، حامت عيناه فى القاعة الواسعة، عاد ينظر إلى صاحب الدعوة وزميل دراسته وهو يجلس محاطا بكوكبة من الكتاب والمفكرين والنقاد، لم تتغير هيئته كثيرا، القامة المديدة التى تميل إلى النحافة، الوجه المتميز بحاجبين غزيرى الشعر، وأنف يميل إلى الامتلاء، جبهة عريضة تنتهى بشعر حاسر، يغزو شعر أبيض باقى الرأس، تشى ملامحه بطابع مصرى أصيل، وكأنه منحوت كأحد تماثيل الفراعنة القدماء، نفس طريقته فى ارتداء ملابسه، رداء متواضع يحرص دائما على نظافته، شعر بخيلاء داخله حين تواردت فى ذهنه الخواطر، حين عقد مقارنة سريعة بين حال وحال، ترسخ فى نفسه أنه الفائز، وأن لهاثه قد أوصله إلى بر الأمان، يتأرجح السيجار الكوبى بين شفتيه، ينفث بعمق، وضع ساقا على الأخرى فى زهو... تنظر إليه كثير من العيون المستطلعة، يرضيه أن

يكون محور للنظرات المتسائلة، اقترب منه (البودى جارد) همس فى أذنه: أنه قد أوصل الهائم إلى النادى، وأنه ينتظر مع سائق العربة خارجا، ارتفع ببصره نحوه قائلا:هى مقلتش هترجع إمته للبيت...... رد عليه فى صوت خفيض: مقلتش...... أشار إليه أن ينتظر فى العربة، جالت عيناه فى أنحاء القاعة، القاعة مكتظة بالحضور.. عاد إلى أفكاره وعقد المقارنات، أقنع نفسهُ أنه الرابح فى هذا السباق المحموم، اقتنع أن قراره كان صائبا حين ترك الأدب ليحترف (البزنس)، بدأ صغيرا حتى صار من كبار رجال الأعمال، يعلم أن صديقه أصابه شىء من الشهرة، لكنه مازال يعيش حياة متواضعة، أسعدته المقارنة بأنه يحس بالتخمة مالا و جاها، يعب من أى شىء حتى الثمالة، إذا قرر الارتواء من أى نبع تهفو إليه نفسه، كل شىء مباح وبسهولة ..... استيقظ من أفكاره المتلاحقة حين دوت القاعة بالتصفيق، ارتفع بكفيه فى تباطؤ ليلتقيا، لمجاراة الآخرين فى طقوس الاحتفالية، توالت كلمات المديح بالعمل الأدبى الذى انجزه زميله، ترددت قهقهات مكتومة داخله، حين تذكر أنه يتردد كثيرا مثل هذه الكلمات، عند مناقشة الأعمال الأدبية، لا يعدو الأمر وميضًا خاطفًا يخبو سريعا، ويمضى صاحب العمل بعد فترة قصيرة متواريا فى الظل لسنوات، حتى تعود إليه هذه الومضة مرة أخرى مشتعلة أو خافتة، ويمر الأمر كحلم يتبدد سريعا عند الاستيقاظ، تقطع أفكاره مرة أخرى حدة التصفيق، ما إن انتهت الندوة حتى نهض زميله متحلقا حوله كثير من

الحاضرين، تتناهى إلى سمعه كلمات الإعجاب والتعليقات، التى تمنح صديقه وهمًا عابرًا سريعا ما يختفى..... ظل قابعا فى مكانه ... أخرج من جيبه نظارته الشمسية ليضعها على عينيه، ليخفى ملامحه، وظل متابعا، يزداد يقينه أنه الفائز فى نهاية الأمر، قل عدد المتحلقين حوله..... تقبل عليه امرأة استرعت انتباهه، ركز بصره عليها، لها وجه جميل تنطق قسماته برضى، ابتسامة هادئة تغزو شفتيها، ترتدى ثوبا سابغا محتشما، اختارته بعناية، تبرز روعة تقاسيم الجسم دون ابتذال، سحرته نظرات عينيها اللوزيتين، كما لو كانت فاتنة تتبدى فى حلم التشهى، لطلة من نظراتها، تبرز تلك الالتماعة من عينيها التى تشع دفئا وحنانا، وتتجه بهما فى حنو إلى زميله، وكأنها تضعه بين حدقتيها ... قفزت فى رأسه عدة أسئلة، من هى يا ترى؟ هل هى معجبة؟ زوجته؟ قطع اليقين شكه حين وجدها تقبل نحوه، وتقترب منه، تحتضنه فى حنان وتطبع على جبينه قبلة دافئة، ربت على كتفيها بحنان قائلا فى صوت حنون يشى بالامتنان ... ربنا يخليكوا ليه ... يظهر فى المشهد بصورة مفاجئة، شاب يميل إلى الطول متأنق، تشى ملامحه بتشابه يقترب إلى حد التماثل من ملامح زميله، يقترب منه، يطبع على جبينه قبله طويلة دافئة، ثم يقترب ليلتقط الحقيبة من يده ليحملها عنه، يتجهون نحو الخارج، الأيدى تتشابك ، ليقبض بيد على كف المرأة والآخرى على كف الشاب، وسارا فى طريقهما، الهاتف يرن فى دقات متوالية ...... يرفعه على أذنيه ليسمع على الطرف الآخر

صوت ... زوجته تخبره أن ابنهما قد افتعل مشاجرة فى النادى وعليه أن يلحقه بقسم الشرطة ... أغلق الهاتف، شعر أن جسمه يتهدل، وأجزاءه تتفكك وغيمة ضبابية تحجب رؤيته، تصبب عرقا، ازدرد لعابه بصعوبة، شعر بدوار فى رأسه، تسللت إلى ذهنه فكرة تشبه اليقين، أنه قد أخفق فى السباق، أحس أن فى داخله فراغا كبيرا، وجوعا هائلا وظمأ شديدًا، متلمسا قطرة من حنان، كالتى حظى بها صديقه ليروى بها ظمأ الروح.

عائلة عريقة

زهقت من التسكع على نواصى الحارات مع شلة الأصدقاء، والجلوس على الكافيهات لتدخين الشيشة نثرثر عن شقاوة البنات، ومغامرات انصاص الليالى، زهقت من تدنى الأعمال التى أمتهنتها، قرفت من منظر الأيادى المرتبكة وهى تمتد لى ببعض الجنيهات التى لا تسد الاحتياجات الضرورية، خبأت ليسانس الفلسفة فى متحف الأوراق المنسية فى درج مكتبى القديم، الذى شهد أيام السهر للمذاكرة وكتابة المذكرات، مازالت بعض الأوراق تتناثر عليه، مكتوب عليها بعض من أشعارى، تجسد أحلاما نسيتها تماما ..... كانت محض خيالات .... مازلت أشعر بالخزى حين تمتد يد أبى الحنونة إلى جيبى ... ببعض الجنيهات، واليوم زاد حرجى حين دفع برزمة من الأوراق المالية، استدانها لأدفع المطلوب، ارتسمت ابتسامة مصطنعة على شفتيه، وهو يردد: ربنا يسهل يا ابنى ويحل أزمتك..... طأطأت رأسى وأنا أشعر بالانكسار والحزن، ربتت أمى على كتفى وأنا أخرج، ولسانها يلهج بالدعاء لله، أن يفك الكرب ويزيل الغمة، الطريق طويل، فضلت أن أقطعه سيرا دون اللجوء لتاكسى، قانعا نفسى أن المشى رياضة، بجانب التوفير، كان الطريق طويلا تشاغلت

بالنظر إلى اللافتات وحركة الشارع، وقع بصرى على سور يحيط بحديقة واسعة، يكشف السور من خلال فتحات بينية من أعمدته الخرسانية، أطفال تلعب وتلهو، جزء من الحديقة أشبه بمدينة ملاهٍ مصغرة ، تحت شلة من أطفال تضحك وتتقافز حول ألعاب كهربية .... توقفت ..... سرحت بأفكارى لماض بعيد، كان أبى لا يملك هذه الرفاهية التى تدفعه أن يذهب بنا إلى مدينة للملاهى، تذكرت حصانى الخشبى، تلك العصا الغليظة على ما أذكر كانت ضمن موروثات ابى العتيدة عن أبيه، عصا الجد الخيزرانية كنت أضعها بين فخذى ممسكا بطرفها منطلقا فى رحاب الحارة مرددا فى صوت عالٍ..... شى ..... حا ..... ثم ينطلق لسانى بإطلاق نغمات تعبر عن وقع حوافر الحصان وهو منطلق فى جموح ..... درجن .... درجن ... درجن.... وأنا أعدو فى سعادة، مطيرا فى الهواء بأحلام جامحة، محلقا فى الفضاء، أسابق الطيور وهى منطلقة، ألمس نجمات المساء الساكنة فى قبة السماء، تنبهت على صوت خشن يأمر بعدم النظر والتلكؤ، شعرت بالخجل، سرت فى طريقى، وصلت إلى مكان اللقاء، مكتب السيد كما يطلق عليه، ما إن رآنى حتى نهض مقبلا نحوى يشد على يدى مرحبا، جلست على مقعد وثير، مشاعر غريبة تجتاحنى، نفور واشمئزاز يمتلئ به صدرى، أخذت أدقق فى ملامحه، بدت ملامح خشنة، خيل لى أن وجهه يتماهى مع ملامح إنسان الغابة، الذى يمثُل فى ذهنى، كلما جلست مع شخص أكرهه، لكن ما باليد حيلة، لابد أن أعبر اللحظة، فالحاجة تولد

العجز والعجز يولد الاستكانة والاستكانة تولد الخضوع، التفت إلى محدثى حين قال فى حماس: ستتعرف على شخصية فذة رائعة، استطاع أن يقفز إلى أعالى المناصب فى فترة وجيزة، سوف ينهى مشكلتك فى فترة وجيزة، لما له من يد طولى فى كل أجهزة الدولة.

هززت رأسى قائلا فى صوت خفيض: ربنا يسهل .... أقبل الرجل المنتظر، شعرت بالرهبة حين بدا لى رجلٌ مهيبٌ حسن الطلعة، متأنقٌ فى مظهره، يتدلى كرشه المنتفخ إلى أمامه بصورة ملحوظة، نهض الرجل الوسيط يشد على يده فى انحناءة ظاهرة، لم أقلده، صافحته بحرارة وأنا مشدود القامة، وجلسنا ..... خيل لى أنى فى حضرة مقام عال، يعلو تصورى الماضى عنه، تحدث فى موضوعات عامة، وكان يداعب بين الحين والآخر بكلمات متقنة الصنع، خيل لى أنه يريد أن يقلل من توترى ..... التزمت الصمت، التفت نحوى فى نظرة ثاقبة طويلة، قائلا وهو يدفع بورقة أمامى: اكتب السيرة الذاتية كاملة .... لم أكتب شىء يذكر،أشار بأصبعه قائلا: أرفق شهادة الليسانس، أخرجتها من جيبى والتى كانت حبيسة بدرج مكتبى لسنوات طويلة..... شعرت بالفرح، لقد رأت النور أخيرا ، مسها الهواء ، انطلقت منه ضحكة مصطنعة، ضاربا المكتب بكفه، تأكدت أن حالته لا تعبر عن سعادة، لكنى استشعرت أنها إشارة لانتهاء المقابلة ... صدق حدسى فقد نهض الرجل الوسيط، متجها نحو المكتب ليدس الظرف الممتلئ بنقودى، بين طيات أوراق ملقاة على المكتب، التفت إلىّ متجاهلا ما فعله الوسيط، ثم قال

بنبرة واثقة: ربنا يسهل .... خلال أيام انتظر الخطاب ... صافحته شاكرا ... وانطلقنا فى طريقنا وأنا أتصبب عرقا، قطع الوسيط الصمت فى صوت واضح النبرات: ما رأيك فى الباشا ؟

- رجل عظيم

- ميزاته كثيرة

- بالطبع له كرش ميز يبتلع كل شىء

- ضحك بقهقهات عالية، ثم قال حقيقى أى شىء لا يتمدد من فراغ فهو حصالة أمينة لأموال الناس والجمعيات الخيرية وجمعيات حقوق الإنسان، وحريص على أموال الدولة

- قلت معلقا : عله يصدق .... وعلى أى حال أنت المسئول أمامى

- قال وهو يطلق ضحكته المميزة: اطمئن .... الباشا راجل شبعان ...... وله سلطان

- واضح من كرشه المنبعج

- عقب مداعبا أنه ينتمى إلى عائلة تتميز بالامتلاء فى كل شىء

- قلت وأنا ابتسم مادا يدى لمصافحته :أتعجب أنك مازلت تحتفظ برشاقتك رغم أنك تنتمى إلى نفس العائلة العريقة.

أحب ذلك الشيطان

كان أبوه شيخه ومعلمه فى نفس الوقت، تعلم على يديه أن بداية المراتب التخلص من عبودية الجسد، ثم يتدرج إلى الدرجات العلى، وهى فناء الذات فى الذات المطلقة، ليفنى العاشق فى المعشوق، تعبد الفتى بعشق الوحدة والاختلاء بنفسه، محبا لله، لا تفارق يده المسبحة، ولا تفوته صلاة ... هكذا رباه أبوه شابا صالحا منقطعا عن العالم، لا يعرف أحدا إلا والده، والقائمين على الخدمة، وكانوا ثلاثة رجال أتقياء صالحين، يميلون إلى الصمت، كارهين للكلام، ترعرع من نعومة أظافره وحتى الشباب دون أن يعرف أحدا إلا أباه والرجال الثلاثة، عالم محدود يعيشه، لأن أباه أراد أن يبعده عن شرور العالم، لما لاقاه من معاناة فى حياته، من شرور الناس رجالا ونساء، فأراد أن يحمى ولده الوحيد من هذه الشرور والآثام، ليعيش فى عالم مثالى، هيأه له دون انتقاص، كان الأب سعيدا بولده يعيشان معا فى سلام بالقصر الذى شيده فى مكان ناء بعيدا عن المدينة، بعد صلاة المغرب انصرف العاملون ليعودوا إلى بيوتهم، وانشغل الأب فى إعداد بعض الكتب التى سيقرأها مع ابنه تلك الليلة...

أطل الشاب من نافذة القصر، وجد الرجال الثلاثة يسلكون طريقا

وعرا، بعيدا عن القصر فى اتجاه المجهول .... لأول مرة اعتملت فى ذهنه أفكار شتى، ثارت فى عقلة أسئلة كثيرة، أين يذهب هؤلاء... وما هى المدينة ... وشكل الناس الذين يعيشون فيها... وأى حياة يعيشونها ... أقلقته هذه الأسئلة وفجأة طرأت فى ذهنه فكرة، أراد الشاب أن يخوض التجربة وأن يكتشف بنفسه مالا يعرفه، نزل بسرعة إلى الطريق يقتفى آثار الرجال الثلاثة.... لحهم عن بعد .... حاول أن يحافظ على المسافة التى تفصل بينه وبينهم بحيث لا يرونه .... طال الطريق، مر الوقت، حتى لاحت مدينة ضخمة كبيرة ... نظر فى دهشة إلى مبانيها العالية، ومدى اتساعها، لم يعد يهتم إلى أين ذهب الرجال؟ اخترق شوارعها، انبهر بالأضواء والباعة والناس، وهى تعلو بأصواتها وتتجاذب الحديث، واندفاع العربات فى الشوارع، وتلك الأردية المزركشة المختلفة التى يرتديها الناس، محلات مكتظة بالباعة والمشترين ... استرعى انتباهه تعلق بعض النساء بأيدى الرجال، عالم جديد يراه لأول مرة أصابه بالدهشة والارتباك، ازدحمت رأسه بأسئلة كثيرة دون إجابات ... شعر بأن رأسه منتفخة على وشك الانفجار .... وقف فجأة أمام محل كبير ... الناس تتزاحم ويمدون أيديهم بأوراق ملونة فى حجم الكف ... يأخذون بها طعاما ملفوفا فى أوراق نظيفة، الرائحة نفاذة ... شعر باشتياق أن يحذو حذوهم، لكن ماذا يفعل .. كيف يحصل على هذه الورقة، التى يدفع بها الناس إلى الباعة، فيأخذون ما يشتهون من طعام، ملابسه البيضاء وعمامته الخضراء، أثارت انتباه بعض الناس، شعر أنه كائن غريب يهبط من كوكب آخر، ليجد كل شىء مختلفاً عما ألفه

وشاهده، لمح وسط الزحام فتاة جميلة رائعة الحسن، تسمر فى مكانه، أخذت بلبه، نظر إلى عينيها الواسعتين أخذه ألقها وبريق نظراتها الأخاذة، مسحت نظراته شعرها الفاحم المنسدل على كتفيها متطايرا كأسلاك من الفضة، بفعل نسمة هواء عابرة، القامة فارعة منسجمة التقاسيم، شعر بأن هناك قوة غير مرئية تجذبه إليها ... مشاعر غريبة تجتاحه لأول مرة ..... لا يعلم لها سرا، وقف مشدوها وكأنه فى غفوة يرى فيها أحلاما لم تمس مخيلته من قبل، نظرت إليه الفتاة، ابتسمت له، دق قلبه، ازدرد لعابه بصعوبة، تمنى أن يقترب منها ويحادثها، أن يصطحبها معه لتشاركه حياته، وقف مغيبا عن عالمه، ليلج إلى عالم آخر يعايشه دون أن يعرفه، مما زاده ارتباكا، كان الأب فى تلك اللحظات مندفعا كالمجنون، يبحث فى شوارع المدينة، حدسه هداه أنه قد وصل للمدينة لا محالة ... وبعد عناء فى بحث طويل، وجده يقف مشدوها، ومازالت نظراته معلقة على الفتاة، أمسك الأب بيده بشدة ... هز كتفيه ليفيق، تنبه الابن، لم يعاتبه الأب، لم يوجه له لوما، سحبه من يده ، ولكن قبل أن يدفع به إلى طريق القصر ... سأله الابن فى براءة، مشيرا إلى الفتاة: من هذا المخلوق يا أبى؟

هز الأب رأسه فى أسى، وقال له: يا ولدى هذا هو الشيطان بعينه، يتجسد فى صورة امرأة جميلة ... جاذبة وقد تأذيت بها كثيرا يا ولدى، ارتسمت على شفتى الشاب ابتسامة باهتة، وأطرق برأسه ومسحة من الحزن تطفو فوق ملامحه الهادئة ، تبعه مطيعا فى انكسار إلى القصر، مرت أيام والشاب يحتويه صمت مطبق، ومسحة الحزن لم تفارق

ملامحه، وأفكار شتى تخايله، يستدعى بذاكرته تلك الليلة ، كانت سعادة تغزو داخله عندما يعيش لحظات قليلة، متذكرا ما حدث، ترك قراءة الكتب وأعرض عن الصلاة ، جلس واجما حزينا لأيام، والأب يؤلمه حزن ابنه، ويضنيه كمد يهد داخله، لما أصابه فى الأيام الأخيرة، كان يتمنى أن يحقق فى ابنه ضالته المنشودة، جلس الأب بجواره يربت على كتفه ، قال له فى صوت حزين: قل لى يا ولدى ما الذى أعجبك فى هذه المدينة القبيحة؟ صمت الابن ولم يرد ... استحثه الأب لإبداء رأيه بصدق دون مواربة فهذا شأن الصالحين.....

قال الابن: لقد أحببت المرأة، قال الأب منزعجا لكنها الشيطان يتجسد فيها ... صمت الابن برهة ثم قال: لكن يا أبى لا أعرف سببا لهذه القوة الجامحة التى بداخلى، وتدفعنى إلى محبتها وتعلقى بها، صمت الأب ولم يعلق وذهب لينام ليهرب من حزنه .... أخذه سبات عميق واستغرق فى حلم، أقبل عليه شيخه والذى تعلم على يديه بلحيته البيضاء وردائه المتواضع ووجهه الذى يشع ضياء، اقترب منه وربت على كتفيه .....قائلا: أنت رجل طيب وصالح، لكن لم تكن يوما من الواصلين لأن لك عينا تطل على العالم وعينا تنظر للسماء، لقد نسيت يا شيخنا، أن الخطوة الأولى التى تفضى إلى طريق الصالحين هى مجاهدة النفس، لقد أردت أن تقفز بابنك إلى عالم الواصلين وهذا محال، اتركه يا رجل يعانى ويتألم، يفرح ويحزن، يحب ويكره، وعليه أن يختار طريقه بإرادته الحرة، ليهنأ بحلاوة الخطو المتدرج للواصلين، استيقظ الأب من نومه، وشعور براحة تسرى فى أعماقه، وسلام ينير داخله، جرى مهرولا نحو باب القصر، فتحه

على مصراعيه، نادى بصوت عال على ابنه، لم يسمع ردا، أسرع فى لهفة باحثا عنه فى أرجاء القصر، لم يجده، تيقن أن المدينة خايلته بأطيافها فشعر بحنين جارف يجتاحه إلى هناك، مستجيبا للنداء الذى ترن أصداؤه فى أعماقه.

واجب عزاء

- فى مرفأ الأحزان سكنت سفينتى،

- سقط الشراع والجداف

رياح عاتية تقتلع السكينة، لا تبقى ولا تذر، انزويت مرتعبا بلا أمل فى الخلاص، بغتة ومضت كشعاع، يلوح وسط الظلمة اقتربت منى، احتوتنى بين ذراعيها، شعرت بدفء أحضانها، كفكفت دمعى بطرف ثوبها الحريرى، انحسر الثوب عن ساقين كقمعى سكر، اقتربت أكثر، دثرتنى بصدرها الملتهب، هدهدتنى كطفل صغير مدلل، احتوتنى، داعب الكرى أجفانى، استسلمت بلا مقاومة، وما كادت عيناى تغمضان فى غفوة، حتى امتدت يد تهزنى برفق، وصوت ابنى يهمس فى حنان ليخبرنى أن بعض الأصدقاء جاءوا لتقديم واجب العزاء

البيع بالمجـان

ارتفع برأسه ضاحكا فى قهقهات عالية ثم قال فى صوت خشن:
لقد شعرت بالخزى عندما قرأت أن يهوذا تلميذ المسيح باع معلمه
بثلاثين من الفضة، لأنى بعث أكثر من صديق بأكثر من ذلك بكثير،
ارتفعت بيدى لأتحسس عنقى فى رعب وأنا أطيل النظر إليه، همس
فى أذنى من يجلس بجوارى قائلا: اطمئن لقد بعته لآخرين بالمجان.

قرية بريئة

لكى يفض شجارا نشب بين أهل القرية صاح فيهم حكيم القرية مستلهما ما قاله السيد المسيح: من منكم بلا خطيئة فليقذف أخاه بحجر .....ما إن انتهى الحكيم من كلامه، حتى هب الجميع يقذفون بعضهم بعضًا بالحصى والحجارة حتى سال دم الجميع .

وقـــــار

استلفت نظر زملائه وزميلاته فى الشركة حين كان يطيل فى الإمساك بكف المديرة الجديدة عند مصافحتها، تهامس الجميع مؤكدين أن المديرة قد أخذت بلب الأستاذ بديع، المرأة جميلة، ثرية، مطلقة والأستاذ بديع المدير المالى للشركة مازال أعزبا، أربعينى العمر الابتسامات تتسع والعيون تحملق وتتابع. والهمس يتزايد كلما تعلقت الأكف فى مصافحة طويلة، وحين تتلاقى عيونهما فى نظرات مشبوبة، تحول الهمس إلى نميمة حين غابت الست المديرة والأستاذ بديع ... قفزت إلى الأذهان أسئلة كثيرة، وتخمينات متعددة ولكن حلت الدهشة محل الأسئلة. حين جاءت السيدة المديرة بعد أيام منتقبة ومعها الأستاذ بديع، وقد أطلق للحيته العنان.

رعايــة

أحس بالزهو، وشعور بالسعادة دغدغ أعماقه حين كان يتخذ مكانه فى حجرة مكتبه، ليمارس مهام منصبه الجديد كمدير لمؤسسة الفتيات اليتيمات، تحلق حوله جوقة من المنشدين بألحان فيها إيقاعات مختلفة للترحيب به، أخذت عينه تحوم شمالا ويمينا لتمسح نظراته وجوه المتحلقين، استلفت نظره وجه امرأة جميلة متميزة القوام، شعر براحة تسرى فى أعماقه للنظرة التى رمقته بها، وهى لغة صامتة يجيد قراءتها، لتراكم خبراته الماضية. حين انصرفوا جلس وحيدا، ووجه المرأة يطل فى إلحاح بمخيلته، لكنه شعر بالضيق عندما قفزت إلى ذهنه فجأة حكاية جدته العجوز التى قصتها عليه وهو صبى، عن صاحب الدار الطيب الذى أئتمن الذئب على الدجاج حين غاب عن الدار..

أحلامها تتهاوى فى حفرة

تجلس على حجر مرتفع عن الأرض، بمسافة تسمح لها أن تدلى ساقيها لتؤرجحهما فى تلقائية، عيناها معلقتان فى قبة السماء، ترنو للقمر، ضوؤه يتلألأ، يذوب شعاعه فى ملامح الأشياء الداكنة التى تراها من بعيد، عشش متناثرة فى غير نظام، بيوت منخفضة تبدو كأشباح قابعة على منعطفات طرق ملتوية غير معبدة تشعرها بالكآبة حين تتذكر أنها ستأوى إلى إحداها، لتندس فيها كفأر صغير يتلمس المأوى، تصغى لدقات المعول الذى ينهال به أبوها على الأرض، لا تأبه به، قد ألفت دقاته الرتيبة لليالٍ طويلة، وهو ينحنى فى إصرار مواصلا الحفر باحثا عن كنز مخبوء، يتناقل أخباره الناس عبر سنين طويلة، كلامه عن الكنز يدغدغ أعماقها بأحلام كثيرة حين يحدثها عنه وأنه فى الطريق إليه، كما حدد الرواة مكانه فى هذه البقعة من الأرض، طيرها فى عالم خيالى، تشبع فيه رغباتها المكبوتة التى تخفيها فى صدرها اللدن الذى نبتت عليه تفاحتان تهتزان في نزق خلف ثوب بالٍ، البنت حلوة يشع وجهها ألقا فى ضوء القمر، ونورا حين تلمسه أشعة الشمس، مازالت تنظر للقمر.... أحلامها تنطلق فى جموح، تعد نجمات السماء، تجهد من توالى العد فتكف وتعود إلى أحلامها، رغم سعادتها بأحلامها الطائرة والنظر إلى السماء تغمرها

نجومها، كان هناك ما يقلقها، فقد أزعجتها تلك القطرات الحمراء التى انسابت بين فخذيها ليلة أمس ..... وأشعرتها بالفزع، ثارت فى ذهنها أسئلة مرعبة بلا أجوبة، لم تجد من يهدئ روعها إلا خالة سعدية، حين طمأنتها بكلمات همست بها فى أذنيها، بأن خراط البنات جاء يطرق بابها، لينقلها إلى عالم الأنوثة الكامل، ولم تبخل الخالة سعدية بمنحها بعض النصائح التى لا تخلو معظمها من التحذير والأخذ بالأحوط والحرص، حاولت أن تتناسى تلك الأفكار التى أقلقتها، وعادت للنظر إلى القمر مرة أخري هائمة فى أحلامها .... دقات المعول تتعالى، وهمهمات الأب المكتومة تحدث صوتًا يحرك فى أعماقها قلقا على أبيها، انقبض قلبها، قفزت من فوق الصخرة، أسرعت إليه وقفت خلفه لم يرها، ظل فى حركته الدائبة يهوى بمعوله فى باطن الأرض، ليتابع الحفر فى إصرار، تسمع لهاث أبيها وأنفاسه المتقطعة، بغتة يختفى القمر وراء غلالة سوداء من سحب متلاحقة، سقطت على المكان ظلمة ضارية، تسير فى خطوات بطيئة نحو زجاجة المياه، الملقاة فى إهمال بجوار الحفرة لتلتقطها، ثم تتجه إليه لتمد يدها بها، وتطلب منه أن يرتاح قليلا ويروى ظمأه ويسكن قليلا ليهدأ لهاثه، توقف الأب ليلتقط الزجاجة، وقبل أن يعب منها دعى لها بالستر ممتنا لها على مشاعرها الرقيقة، ثم لوح لها بيده قائلا فى ثقة أنا واثق أن الفرج قريب... لقد عثرت على صخرة ضخمه أعتقد أن وراءها باب مغارة الكنز المخبوء، انصتت لكلامه بنظرات مدهوشة، تتأرجح بين الشك واليقين، عبرت السحابات السوداء لتكشف مرة أخرى عن وجه

القمر... عاد ليدق بمعوله فى إصرار، وانسحبت عائدة لتجلس على الصخرة، تؤرجح ساقيها فى سعادة حين اقتحمت صورته الجميلة فى مخيلتها .... حسين جارهم الذى يقيم فى البيت الملاصق لبيتهم ... تحب فيه تلك القامة الممتدة وعينيه الواسعتين اللتين ترى فيهما سكنا لروحها، تتذكر نصائح خالة سعدية بضرورة الحرص .... تشعر بالخوف من جموح مشاعرها ... تتمنى أن يتحقق الحلم بالحصول على الكنز، سيفتح آفاقًا جديدة لحياة تتمناها، ستكون ست الحسن وحسين الشاطر حسن، أحيانا تتقلص أحلامها فتكتفى بطلب الستر والحلال الذى دعا لها به أبوها منذ لحظات، فجأة انقبض قلبها وشعرت بالفزع، حين كف صوت المعول عن دقاته الرتيبة، وتوقف صدى صوته فى أذنيها، والذى كان يبعث فى نفسها الطمأنينة، أرهفت السمع..... سمعت صوت ارتطام بالأرض، قفزت بسرعة متجهة لناحية الحفرة، وجدت أباها منطرحا على الأرض، وجسمه ممدد يشغل معظم الحفرة، أصابها الهلع، انحنت نحوه تتحسس جسمه، عرق ينساب بغزارة من أجزاء متفرقة من جسمه، اقتربت منه أكثر، احتوته بين ذراعيها، احتضنته بشدة، لهاثه يخف وأنفاسه تتقطع... لتكف فجأة، تنطلق منها صرخة مدوية تشرخ سكون الليل الموحش، ويختفى القمر خلف سحابات سوداء، ليغطس الكون فى جب مظلمة، ومازالت صرخاتها تدوى فى الفضاء، دون أن توقظ أحدا من سكان العشش والبيوت الرابضة بين أحضان طرق ترابية ملتوية وموحشة.

غيبوبة

منذ أن سقط طريحا على الفراش، يكتم ألمه المضنى أمامها ليبدو قويا، حين تجلس قبالته على مقعدها، ساكن بلا حراك، وعيناها تحومان حول الفراش، ترقبه فى صمت، ويظل الصمت مقبضا يضفى على المكان جوا من الكآبة... كان ينظر إليها بين الحين والآخر تبدو فى مخيلته تمثالا من الجص، لا يسمع ولا يرى، ساكنا بلا حياة ..... آلام مبرحة تقطع أحشاءه، يستمسك بالصبر الذى تحلى به طويلا، ثمة سؤال يطفو إلى السطح فى عقله المجهد .. ماذا يجول بخاطرها الآن؟ يقلقه السؤال، يظل معلقا فى ذهنه دون إجابة شافية، يزداد ألمه، يظل متماسكا، يود فيما بينه وبين نفسه أن تبرح المكان، ينتظر بفارغ الصبر أن يتخلص من جلستها الكئيبة كل يوم، التى قد تطول أو تقصر، متيقنا أنها جلسة روتينية لا جدوى منها ولا نفع، فقد تركت أمره تماما فى يد الشغالة لتفى باحتياجاته ... قدومها إليه وجلستها المعتادة صارت أداء روتينى يوميا لسد أفواه المتقولين والمنتقدين .... صمتها وجلوسها قابعة فى مكانها، ينهش داخله بصورة أعنف من آلام الجسد الواهن. فجأة يشعر بضيق فى التنفس، دوار عنيف ينتابه، يموج به فى عنف تعلو وجهه صفرة بادية، الجسد

الكليل ينتفض فى شبه تشنجات متتابعة، تنهض .... تقترب بخطوات وئيدة نحوه.. تقف جامدة ... تمد يدها إلى كتفه تهزه فى عنف قائلة فى صوت هادئ النبرات: نفسك فى حاجة.

عادت إليه يقظته، فتح عينيه، نظر إليها فى طلة طويلة مدهوشة بعينين نصف مغمضتين... تمتم بكلمات هامسة لم تسمعه... اقتربت بأذنيها نحوه مكررة... نفسك فى إيه؟...

عادت إليه يقظة مفاجئة فى لحظة خاطفة، مستجمعا قوته لتخرج كلماته واضحة مسموعة دون التباس أو غموض، قال: أتمنى أن أرى ولو مرة واحدة تلك العينين الجميلتين تمتلئان بالحزن والدموع، لأتأكد من طيبة قلبك ... قالها وأغمض عينيه وراح فى غيبوبة طويلة.

حكايات من التحرير

١- العطـــش

وقف مشدود القامة يستجمع قوته ليبدو صلبا تتشابك كفاه بأكف من يجاورونه ويستمر التشابك كحلقات سلسلة متماسكة تُستعصى على الاختراق، يستنفر كل قواه كى يصمد أمام الطوفان الهادر من البشر الذى يحيطه من أمامه وخلفه، هتافاتهم تشق عنان السماء، ترن أصداؤها فى أذنه كطلقات المدافع المدوية، اخترق أذنه صوت الضابط يصيح فى صوت غليظ: اصمد يا عسكرى يشحذه النداء، يستنفر قوته، ليستمر فى الصمود، أمواج البشر تتدافع بعنف تحاول كسر الحلقة لتخترق وتندفع، يستميت كى يصمد، مرت ساعات طويلة لا يعرف حصاها بلا طعام أو شراب، التعب يتسلل إلى جسده، قدماه تعصرهما الحذاء(البيادة)، يزداد شعوره بالألم، الرداء الأسود يضيق بجسده، تفوح منه رائحة العرق، رأسه يلف ويدور لا يعنيه محتوى الهتافات، لا يعرف الفرق بين مطالب من أمامه، وما يريدون خلفه، كل همه أن يستمر فى صموده، حاول أن يستمسك به، لا يعنيه إلا تنفيذ الأوامر، ويمنع تدافع المتظاهرين من الجانبين وأن يظل

حلقة محكمة فى سلسلة طويلة من عسكر متشابكى الأكف فى إحكام، يزداد شعوره بالإجهاد، تختنق أنفاسه يشعر بجفاف حلقه، يشتد به العطش، يزدرد لعابه بصعوبة، تحول داخله إلى أرض عطشى متشققة من جفاف قاسي، لمح إحدى المتظاهرات ترتفع بزجاجة مياه إلى فمها، لترشف منها ما يروى ظمأها، يركز بعينيه عليها، تمنى رشفة ليطفئ ظمأه المضني. ركز نظراته اللهفى على الزجاجة، لحته الفتاة، أدركت لهفته، بريق عينه الشاحب والمستجدى يفضح ما بداخله، ابتسمت الفتاة .. شعرت نحوه بشفقة، دق قلبه، شعر بفرح يغمره لابتسامتها تيقن أنها أدركت احتياجه .. لم تتواني، اندفعت وسط الأجسام المتراصة اخترقت الكتل بصعوبة، اقتربت لمسافة تكفى كى يمد يده لالتقاط الزجاجة، لم يفعل، أدركت عجزة، لا يستطيع رفع يده حتى لا ينفرط عقد السلسلة المضروبة حول المتظاهرين، تصاعدت شفقتها نحوه، اقتربت أكثر، مدت الزجاجة نحو فمه لتسقيه، رفع رأسه قليلا، مد فمه نحو عنق الزجاجة ليضمها بين شفتيه، اقتربت أكثر، كاد عنق الزجاجة يلمس شفتيه، بغتة امتدت يد خشنة لتزيح الزجاجة بعنف، فلتت من يدها وسقطت على الأرض، تسارعت ضربات قلبه، اشتد جفاف فمه، تصبب عرق غزير من جسمه، سرت برودة مباغته فى الجسد الواهن، ارتعشت ساقاه، مادت الأرض تحته، تهاوى جسده مرتطمًا بالأرض الصلبة، انفرط عقد السلسلة، تحلق حوله كثير من الناس ممن كانوا أمامه وخلفه، حاولوا إنقاذه، ولكن قبل أن يحاول أحدهم استدعاء عربه الإسعاف، كان قد لفظ أنفاسه.

٢- قبل الصلاة

الأجساد متلاصقة متماوجة، والحناجر تتعالى فى شلال هادر بالهتافات، الأعلام ترتفع خفاقة على الرؤوس، شباب يطلق أغانٍ وطنية ويردد فى حماس، والبعض يتحلق حول خطيب يطلق عقيرته فى خطبة حماسية تستنفر مشاعرهم، رغم تباين التعبير كان الجميع يتوحد فى لحظة ما فى هتاف صاخب، التغيير.. التغيير... سلمية... سلمية... مدنية.. مدنية... ، وقفت بين زميلاتها ترقب المشهد فى سعادة، تشارك الجميع فى حماسهم الدافق، ورغبتهم فى إحداث التغيير، يدها تمسك بالعلم، تموج به شمالًا ويمينًا فى فرح غامر.. نظراتها تمسح المشهد بكل تفصيلاته، لمحته يجلس القرفصاء، شباب ملتحٍ يحاول أن يسكب بعض الماء من زجاجة على يده، أدركت ما يبغي، فقد كان صوت الأذان يتعالى فى الميدان لصلاة العصر، أسرعت مندفعة نحو الخيمة التى نصبتها مع زميلاتها للبقاء فى الميدان حتى تتحقق مطالبهم، أحضرت جركن ماء، أسرعت نحوه، رفع رأسه اتجاهها، ارتسمت على شفتيه ابتسامه، أدرك أنها تحاول المساعدة، مد يديه للاغتسال، مسح على وجهه بالماء رافعًا رأسه، أكمل وضوءه، هم لبدء فريضة الصلاة، ولكن قبل أن يبدأ، أراد تقديم الشكر لها، وقعت عينه على الصليب المتدلى من عنقها، يموج على صدرها، غمره شعور بالسعادة، نظر إليها بامتنان، دق قلبه بعزف شجى يرن فى أعماقه، بوقع تموجات الصليب، الذى شاهده فى آخر نظرة قبل أن يبدأ الصلاة.

٣- بالبنط العريض

شعر بالإجهاد بعد أن فرغ من كتابة مقاله الثاني، لكنه شعر براحة رغم تصلب جسده لساعات ليكتب المقالتين: المقالة الأولى يمدح فيها الثوار ويشد من أزرهم ويبشر بعصر جديد، المقالة الآخري، يشجب فيها الثورة ويصف المتظاهرين بالعابثين، مطالبًا بالحزم فى مواجهتهم، عيناه تحومان بين المقالتين الملقاتين أمامه على المكتب كجثتين هامدتين، تفتقران للحياة، كان قلبه يدق بعنف منتظرًا بلهف سماع جرس التليفون، ليخبره أحدهم عن الفريق الذى صار له الغلبة، فجأة رن جرس التليفون أسرع فى لهفة أمسك بالسماعة ليعرف الإجابة عن السؤال الحائر والمعلق فى ذهنه ليحسم الأمر، ليقذف بأحد المقالين فى صندوق القمامة ممزقًا، ويرسل الآخر للصحيفة ليبعث فيه الحياة، ويُنشر فى جريدة الصباح بعنوان مثير بالبنط العريض مذيلًا باسمه.

٤- مانشيت

جلس رئيس التحرير بين كوكبة من الكتاب والصحفيين فى البهو الواسع بالصحيفة اليومية ذائعة الشهرة. قال فى نبرة واثقة: سيكون المنشت الرئيسى غدًا فى الصحيفة

(تحركات مشبوهة لبعض الشباب الطائش والمغرر به).

فى اليوم التالى وبنفس اللهجة قال سيكون المنشت الرئيسى غدًا

(عيال الفيس بوك يتظاهرون).

• • •

فى اليوم الثالث كان المنشت.

(المظاهرة تحت السيطرة والأمن يتصدى بحزم للمحتجين).

• • •

اليوم الرابع قال فى صوت خفيض تغشاه نبرة تردد: أقترح أن يكون المنشت الرئيسى فى الغد.

(حشود هائلة من الشعب تتوافد على الميدان).

• • •

فـى الـيـوم الخـامـس قـال فـى صـوت تـشـوبـه نـبـرة حـزيـنـة سـأدع لـكـم اخـتـيـار مـنـشـيـت الـغـد، قـال أحـدهـم فـى إصـرار.

(ثـورة الـشـعـب تجـتـاح المـدن).

• • •

الـيـوم الـسـادس صـمـت ولـم يـنـبـس، أخـيـرًا اتـفـق الجـمـيـع عـلـى أن يـكـون المـنـشـت.

(الـدمـاء تـسـيـل والـثـوار يـصـرون عـلـى مـطـالـبـهـم).

• • •

الـيـوم الـسـابـع ....

• • •

الـيـوم الـثـامـن ....

فـى الـيـوم الحـادى عـشـر مـن فـبـرايـر جـلـس رئـيـس الـتـحـريـر مـنـكـمـشًـا فـى مـقـعـده وعـلامـات الاضـطـراب تـبـدو عـلـى مـلامـحـه قـال بـعـد فـتـرة صـمـت : اسـمـحـولـى أن اقـتـرح مـنـشـيـت الـغـد.

(المـنـتـصـر هـو الـذى يـكـتـب الـتـاريـخ دائـمًـا).

نـظـر الجـمـيـع بـعـضـهـم إلـى بـعـض، وعـلامـات الارتـيـاح تـبـدو عـلـى الـوجـوه، هـمـس أحـدهـم فـى أذن زمـيـل لـه : يـبـدو أن رئـيـس الـتـحـريـر قـد اقـتـنـع أخـيـرًا بـضـرورة تـقـديم اسـتـقـالـتـه عـلـى الـفـور.

• • •

٥- لم يجدوا إلا العَلم

نثر بعضًا من قش الأرز، غطاه بصفحات صحيفة قديمة، توسدها، انكمش فى مكانه، كادت ركبتاه تلاصقان حافة ذقنه، البرودة تتسلل لأطرافه، تصطك أسنانه بشدة، الركن المنزوى تحت كوبرى أكتوبر يتيح له بعض السكينة، اللف والدوران طول النهار هد جسده النحيل، كان يحاول أن يبيع أكبر عدد من أكياس المناديل، ليحظى برضا المعلم، سريعًا ما راح فى نوم عميق، طاردته كوابيس مفزعة، ترتفع يد زوج أمه، يصفعه بعنف وصوته يعلو بغلظة: هو أنا ناقصك يا ابن........، صوت أمه يتسلل فى أذنيه ضعيفًا مهزومًا: الواد غلبان ويتيم...... تتسارع الصور المفزعة مختلطة فى رأسه طوال الليل امتدت قدم غليظة خشنه بمقدمة حذاء مهترئ، لتصدم ظهره بعنف، هب مذعورًا أمام رجل خشن الملامح، شعر برعب، قال بكلمات متلعثمة: أمرك يا معلم.

لسه نايم يا ...... وميدان التحرير مولع .... ودى فرصتنا.

مش فاهم حاجة يا معلم.

النهارده فيه شغلانة هناك، مكسبها مضمون.

تحت أمرك يا معلم.

انصاع الصبى سائرًا خلف المعلم فى انكسار، وما أن وصلا إلى

الوكر حتى دخل المعلم وخرج بسرعة حاملا بين ذراعيه عشرات الأعلام، وجه حديثة إلى الصبى فى نبره جافة آمرة: روح الميدان والعلم بخمسة جنيه والأكبر بعشرة.

احتضن الصبى الأعلام، سار بخطوات حثيثة إلى الميدان، استولت عليه دهشة من مشهد الحشود، والأصوات تعلو هادرة....عدل- حرية - مدنية - سلمية....

أقبل نحو المتظاهرين، دخل بينهم، صار جزءًا من كتلة ضخمة لأجسام متلاحمة، لوح بعلم ليعلن عن بضاعته، امتدت أيدى كثيرة للشراء، غمره فرح، لمح بعضًا من أقرانه ينتشرون فى الميدان يعرضون بضاعتهم، ازدادت سعادته، استوعب بعض الهتافات... عدل- حرية- مدنية- سلمية ...

ردد معهم فى حماس، مازالت الأيدى تتسابق لشراء الأعلام، وتغدق عليه بسخاء يفوق ما حدده المعلم من ثمن، شد انتباهه من يحملونهم الناس على الأعناق، وهم يقودون الهتافات، لم يتبق معه إلا علم واحد،امتدت أيدٍ كثيرة إليه بالنقود كى تشتريه.

احكم قبضته على العلم، شعر بزهو داخله، لأنه يمتلك شيئا ثمينًا، أخذ يموج بالعلم شمالا ويمينا، مرددًا فى حماس... حرية- عدل- مدنية- سلمية ....

بدأ البعض يساومونه على شراء العلم .... بعشرة، بعشرين...... بثلاثين.

قال فى لهجة حادة بصوت عال: العلم مش للبيع حتى ولو بألف

جنيه... اندفع وسط الجماهير المحتشدة... اقترب من زملائه... تبوأ مكانه على الأعناق.. تعالى صوته بحماس... يسقط الظلم، ردد من حوله هتافه، انبهر الناس بجرأة الصبى وحماسه المتقد، ألهب مشاعر الجميع، الأصوات هادرة مدوية تردد هتافه، «يسقط الظلم...».

فجأة انطلق الرصاص من كل جانب، من أسطح البنايات العالية، من النوافذ، وأماكن متفرقة، انطلقت رصاصة غادرة لتخترق جبهته وتستقر فى الرأس، لحقته رصاصة أخري، استقرت فى سويداء القلب، ترنح الصبى على الأكتاف، مضرجًا فى دمائه... وضعته الأيادى برفق على الأرض، تحلق حوله الكثير... امتلأت العيون بدموع سخينة، حين تأكد الجميع من استشهاده... لم يجدوا شيئًا يسترون به الجسد المسجى، إلا العلم الذى كان يقبض عليه بإصرار.

المحتوى

عصفور و حكايات من التحرير عصفور و حكايات من التحرير عصفور و حكايات من التحرير عصفور و حكايات من التحرير عصفور و حكايات من التحرير

وقف على ساقيه المرتعشتين، اصطدمت نظراته بحوائط البئر الداكنة استدار يمينا وشمالا ويده تتحسسان الحوائط الصلبة، تأكد أنه محاصر ولا مهرب، شعر بالرعب عندما هاجمه هاجس الموت، انقباض يطبق على صدره فتزداد ضربات قلبه ويشتد لهاثه تيقن أنه سقط أخيرا فى عالم من التعتيم والجهامة، تواردت الأسئلة فى ذهنه، لم تعد تشغله، انحصر تفكيره فى أن يتلمس طريقا للخروج من البئر فى تلك الليلة شحيحة الضوء.







www.gocp.gov.eg

الكتاب الفضي

الثمن جنيهان